كتاب القيامة

(رحلة الأرواح)

تأليف

إسماعيل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، مالك الدنيا وما قبلها؛ ومالك يوم الدين، المحيي المميت الباعث ذو القوة المتين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، السراج المنير والنور المبين، وصلاة وسلام على آله وصحبه الأخيار الطيبين، وعلى من اهتدى بهديه بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

كان العرب قبل الإسلام يؤمنون ضمنياً أن للكون خالق أو أكثر: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون} **61 العنكبوت**. ولكنهم كانوا يعتقدون أن الإنسان لا يمكن بحال أن يتفهم لغة الآلهة دون وسيط؛ لذا كانت تلك الأصنام مجرد وسيط بينهم وبين آلهة السماء: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} **3 الزمر**.

ورغم ذلك كانوا لا يؤمنون بعالم آخر بعد الموت؛ كما كانت تدين الأمم الأخرى من اليهود والنصارى؛ ولهذا ستجد أنهم كانوا كلما حذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم البعث كان يقولون ساخرين ومتعجبين: {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُون} **47 الو اقعة**. وكان أولئك المكذبون يقولون لغيرهم ممن يسمع وعيد الرسل: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِين} **36-37 المؤمنون**. والحق أن من يؤمن بالله تعالى لا يستبعد أبدا قدرة الله تعالى على إيجاد العالم مرة أخرى بعد زواله؛ ومحاسبة كل امريء على ما كان منه في الحياة الدنيا.. هذا من حيث إمكانية إيجاد ذلك العالم الآخر؛ وإحياء الموتى.. أما من ناحية المعرفة بذلك العالم الآخر؛ ومصير الإنسان في ما بعد الموت؛ فإن عالم الآخرة من العوالم الغيبية التي لا يمكن الوقوف على حقائقها من خلال العقل المادي؛ فلا سبيل لنا للتعرف على هذا العالم العجيب إلا من خلال الخبر أو النص الشرعي الثابت من القرآن أو السنة النبوية الصحيحة.

الدين الإسلامي هو أكثر الأديان تفصيلاً لهذا العالم الأخروي والأخير في رحلة البشرية؛ تفصيلا لا يوجد منه شيء في كتب كل الأديان الأخرى، مما دفع بعض المفكرين والفلاسفة إلى القول بأنه لم يفصح بمعاد الأجساد إلا دين الإسلام، وهذا بالطبع كذب وافتراء فما من نبي من لدن آدم حتى خاتمهم محمد إلا وقد أخبر قومه بيوم القيامة والبعث، بل من لحظة هبوط آدم وحواء إلى الأرض؛ قد أخبرهم الله سبحانه وتعالى بأن حياتهم في الأرض هي حياة مؤقتة؛ وأن موعدهم جميعاً مع ربهم يوم القيامة؛ الذي سيحاسبهم عندها على كل ما فعلوه في تلك الفترة الأرضية المؤقتة. فالإيمان بالله و بالآخرة هو من الأمور المفطور عليها الإنسان؛ قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين}**172 الأعراف**. وهذا الإشهاد كما هو معلوم كان قبل خروج الناس بذواتهم الحقيقية إلى الحياة؛ وكما لا يستطيع الإنسان أن يتوصل إلى إلهه بالعقل المجرد وحده فهو كذلك لا يستطيع أن يتوصل إلى ما في العالم الآخر أيضاً بالعقل المجرد، فهو يحتاج إلى خبر أو نص يدله على العالم الآخر وعلى ربه وإلهه الذي لا يمكن أن تحيط به العقول كما لا تدركه الأبصار. ولهذا ستجد أن البشرية في فترات غياب الرسل كانوا يتخبطون في فهمهم لهذا الإله أو لذلك العالم الآخر، وكلما استعصى على الإنسان التوصل إلى مفهوم محدد عن الله وعن الآخرة فعل الأبسط والأسهل بالنسبة له لإراحة عقله ألا وهو الإنكار، إنكار الله وإنكار البعث؛ أو تصور الله والبعث بتصور ساذج سطحي لا يسمن ولا يغني من جوع.. ذلك حتى جاء الإسلام وسطعت أنواره في قلب الجزيرة العربية الوثنية المظلمة بالجهل و الجاهلية؛ فدلهم أول ما دل على الله وعلى النظرة الحقة إلى الإله المتصف بكل صفات الجمال والجلال والكمال. ثم دلهم على حقائق الكون من خلق الأرض والسماوات، ثم دلهم على حقائق الآخرة من بعث وعرض وحساب وجنة ونار، وجعل كل هذا من حقائق الدين الأساسية الواجب الإيمان بها كلها، فبهذا كله يقوم الإيمان في عقيدة الإسلام وبسقوط أحدها يسقط الإيمان كله، فمن آمن بالله وأنكر قدرته فهو غير مؤمن، ومن آمن بالله وقدرته وأنكر الآخرة فهو غير مؤمن، فالإيمان بالله أصل ومن هذا الأصل تخرج فروع إيمانية أخرى لا تنفك عن أصل الإيمان بالله مثل الإيمان بالملائكة، والأنبياء، والكتب السماوية، والبعث في الآخرة هو فصل القول في الإيمان، فمن آمن بالله وأنكر الآخرة فهو كافر بلا شك، ومكذب لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

في كتاب القيامة سنتناول هذا الحدث العظيم على ثلاث فصول:

الفصل الأول: سنتناول فيه أشراط الساعة وعلامات قرب نهاية الحياة الأرضية مما جاء في كتاب الله وصحيح السنة النبوية المطهرة.

وفي الفصل الثاني: سنتناول يوم القيامة بأهواله ورحلته الطويلة العظيمة والتي تمتد لمسافة خمسون ألف سنة مما نعد ونحصى.

وفي الفصل الأخير: نتناول المستقر الأخير للإنس والجان في جنة أونار.

سائلين الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يجعل كتابنا هذا في ميزاننا حسنات لا سيئات، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من جاء الله بقلب سليم.

الكاتب

إسماعيل مرسي

الفصل الأول

علامات الساعة

قدّر الله تعالى في علمه المحيط أن للأرض نهاية؛ وأن الساعة آتية لا محالة، ولا محالة الله باعث من في القبور؛ **قال تعالى**: {وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُور} 7**الحج**؛ ولكنه سبحانه وتعالى قد احتفظ بعلم وقت قيام الساعة لنفسه فلم يطلع على ميعاد يوم القيامة لا ملك مقرب ولا نبي موحي إليه، فالله وحده هو من عنده علم قيام الساعة: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} **34 لقمان**. ولهذا لما جاء جبريل في صورة إنسانًا أعرابيًا وسأل رسول الله صلى الله عليهما وسلم عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل!

وقد قال تعالى في كتابه الكريم عندما سأل الكفار من أهل القريش النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن يوم القيامة ومتى يكون قال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا. إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا. إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا} **42- 45 النازعات**. فالله تعالى يؤكد في هذه الآية وغيرها أن علم الساعة وموعد القيامة هو علم لله تعالى وحده لا يعلمه حتى أحب الخلق إليه وآخر أنبيائه المرسلين، فهو كما قال الله تعالى هو مجرد نذير ليس له من الأمر شيء. ولهذا فلتعجب معي قارئي الكريم مما قد يتداوله الكثير من الناس عن مواعيد زائفة باطلة ليوم القيامة فإذا كان خليل الرحمن وحبيبه من خلقه وصفيه لا يعلم أفيعلم كاهن أو عراف موعده؟! والله تعالى يقول: {إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} **15 طـــــه**. **وقال تعالى**: أكاد أخفيها. وذلك لأنه سبحانه وتعالى قد خلق لقيام القيامة وحضور الساعة علامات حتى يعلم الناس بقرب قيام الساعة ولعلهم إلى ربهم يرجعون، وبالفعل قد تحقق الكثير من تلك العلامات ولهذا يقول تعالى: {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا} **18 محمد**. أي قد ظهرت علاماتها؛ وهذا ما سوف نتناوله في هذا الفصل الأول علامات الساعة أو القيامة. **والعلامات على نوعين: الأول:** علامات صغرى. **والثاني**: علامات كبرى. فالكثير من العلامات الصغرى قد تحقق ولم يتبقى إلا القليل منها أليسير، والأخرى علامات كبرى لا تخفى على عاقل.

أولًا: العلامات الصغرى

لابد لنا أن نعلم علم اليقين أن للزمان بداية ووسط ونهاية؛ وأننا في نهاية الزمان؛ فكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم (منذ ما يقارب الخمسة عشرة قرنًا) نبي آخر الزمان، ولهذا قد صح أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** بعثت أنا والساعة كهاتين. وأشار بالسبابة والوسطى يقرن بينهما. **قال الإمام البغوي:** وكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة.

وبالفعل قد التقم إسرافيل القرن أو الصور. وإسرافيل هو ملك عظيم من الملائكة، والقرن أو الصور هو بوق عظيم لا يعلم حجمه ولا موقعه إلا الله تعالى وهو سينفخ فيه نفخة واحدة فيموت كل حي على وجه الكون حتى لا يبقي حي إلا الحي الذي لا يموت سبحانه وتعالى، ثم سينفخ فيه نفخة الآخرة فترتد الحياة والروح إلى كل الأموات وتقام الساعة. **فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن، وحنى ظهره، ينظر تجاه العرش كأن عينيه كوكبان دريان لم يطرف قط مخافة أن يؤمر قبل ذلك.

وعلامات يوم القيامة نستمد علمها من مصدرين لا ثالث لهما هما الكتاب وصحيح السنة النبوية المطهرة، فالحديث ههنا هو عن غيبيات والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وحده وهو من بلغ رسوله ورسوله صلى الله عليه وسلم بلغنا؛ فالله تعالى يقول:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} 3- 4 النجم. **قال العلامة السفاريني:** ثم اعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى، وهو الأمارات البعيدة. وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال في زيادة.

والقسم الثالث: الأمارات الكبيرة التي تعقبها الساعة، وهي تتتابع كنظام خرزات انقطع سلكها.

فالأولى: أعني التي ظهرت ومضت وانقضت: منها: بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وموته، وفتح بيت المقدس. ومنها: قتل المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ **قال حذيفة:** أول الفتن قتل عثمان، وذكر الحروب التي وقعت بين المسلمين بعد ذلك، وظهور الفرق الضالة كالخوارج والرافضة، ثم قال: ومنها: خروج كذابين دجالين، وكل منهم يدعي أنه نبي. ومنها: زوال ملك العرب.

ومنها: كثرة المال. **ومنها:** كثرة الزلازل والخسف والمسخ والقذف.. وغير ذلك مما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أمارات الساعة؛ فظهر ومضى وانقضى.

الثانية: الأمارات المتوسطة؛ وهي التي ظهرت ولم تنقض، بل تتزايد وتكثر، وهي كثيرة جدًا: منها **قوله صلى الله عليه وسلم:** لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع، **واللكع:** العبد والأحمق واللئيم، **والمعنى:** لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس.

ومن الأمارات: قوله صلى الله عليه وسلم: يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر. **وقوله صلى الله عليه وسلم:** لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد. **وقوله صلى الله عليه وسلم:** يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة، **وفي لفظ:** فساق. **ومنها:** ما في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه؛ أنه قال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يحدثكم به أحد غيري؟، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن من أشراط الساعة: أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنى، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء؛ حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد.

الثالثة: من أمارات الساعة العلامات العظام والأشراط الجسام التي تعقبها الساعة: **ومنها:** خروج المهدي، والمسيح الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وهدم الكعبة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج النار من قعر عدن، ثم النفخ في الصور نفخة الفزع، ثم الصعق وهلاك الخلق، ثم نفخة البعث والنشور.

وتعالوا لنرى العلامات الصغرى التي أخبربها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العلامة الأولى:

فساد الأخلاق وظهور الفتن

يبدو أن الدنيا وقد قامت من باطل وجهل وظلام إلى حق وعلم نور سوف تعود مرة ثانية إلى ذلك الجهل والظلام والباطل، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا في العديد من الأحاديث النبوية الصحيحة أن من علامات قرب قيام الساعة أن تنتشر الفتن وأن أخلاق الناس ستسوء إلى أقصى درجة؛ فمثلًا **روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي يوم لا يدري القاتل فيم قتل؟ ولا المقتول فيم قتل؟ فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج؛ القاتل والمقتول في النار. **وروي مسلم عن عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:** صِنْفَانِ مِن أهل النار لم أرَهُما بَعْدُ قومٌ مَعَهُم سِيَاطٌ كأذْنَابِ البَقَرِ يضربون بها الناس، ونساءُ كَاسِيَات عاريَاتٌ مَائِلاتٌ مُمِيلاتٌ رؤوسُهُنَّ كَأسْنِمَةِ الْبخْت (الإبل الخراسانية واحدها بختي) المائلةِ لا يَدْخلْنَ الجَنّةَ ولا يَجِدْنَ ريحهَا وإن ريحها لتوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا. **فقوله صلى الله عليه وسلم قوم معهم سياط كأذناب البقر:** هم أناس يحملون السياط يضربون أخرين مستضعفين لجبرهم على أفعال ما كأعمال السخرة مثلاً

ولقد شهد التاريخ الكثير من أعمال السخرة يكفينا فيها ما حدث من اختطاف الروم للسود الأفارقة وإرسالهم إلى أميركا الدولة المكتشفة حديثًا واستعبادهم حتى قيل أن عددهم كان يقارب الخمسة عشرة مليون إنسانًا عملوا في تمهيد الطرق وزراعة الأراضي وتشييد الأبنية وغيره من الأعمال..

أما قوله نساء كاسيات عاريات: فهن النساء في عصرنا الحالي أو الكثير الأغلب منهن يرتدين ملابس تفضح أكثر مما تستر وهن في ذلك مائلات إلى الشر والتحرر والإنحلال، مميلات الرجال إلى الشر والتحرر والإنحلال.

كذلك نبأنا صلى الله عليه وسلم أن من علامات قرب القيامة انتشار الجهل وانتزاع العلم بموت العلماء؛ فقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم قّال:** إنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العلمَ انتِزَاعاً يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاس ولكِنْ يَقبضُ العلمَ بِموت العلماء حتى إنّه إذا لم يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النّاسُ رؤَساءَ جهالاً فَسئِلُوا فَأفْتَوْا بغيْرِ علم فَضَلوا وأضلّوا.

وحديث آخر رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد بعدي؟ سمعت منه: أنَّ مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ أن يُرفَعَ العلمُ، ويَظْهَرَ الجهل، وَيَفْشُو الزنا، وتُشْرَبَ الخَمْر، ويَذْهَبَ الرِّجالُ وتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يكونَ لخمسين امرأةً قَيِّمٌ واحِدٌ.

وقال ابن ماجه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون بين يدي الساعة أيام، يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل. وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به. وقال ابن ماجة عن حذيفة بن إليمان، قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** يدْرُسُ الإِسْلاَمُ كَمَا يدْرُس (يعفو ويذهب أثره) وشَي الثوبِ (أعلام تزيينه) حَتَّى مَا يُدْرَى صِيَامٌ وَلاَ صَلاةٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلاَ صَدَقَةٌ وَيسْرِي النسيان على الكِتَابِ في لَيْلَةٍ فَلاَ يَبْقَى في الأَرْض مِنْهُ آيةٌ وتبقَى طَوائِفُ مِنَ النَّاس الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ يقولون: أَدْرَكْنَا أبَانَا على هَذِهِ الكَلِمَةِ لا إِلهَ إلاَّ اللَّهُ" وهم لا يَدْرُون مَا صَلاَةٌ وَلا صِيَام وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ؟.

قال ابن كثير في نهاية الفتن والملاحم: وهذا دال على أن العلم قد يرفع من الناس في آخر الزمان حتى إن القرآن يسري عليه النسيان في المصاحف والصدور ويبقى الناس بلا علم، وإنما الشيخ الكبير والعجوز المسنة يخبران بأنهم أدركوا الناس وهم يقولون لا إله إلا الله فهم يقولونها على وجه التقريب إلى الله عز وجل فهي نافعة لهم وإن لم يكن عندهم من العمل الصالح والعلم النافع غيرها، وفي هذا الحديث إخبار بأنه ينزل الجهل أي يلهم أهل ذلك الزمان الجهل وذلك من الخذلان نعوذ بالله منه، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة والضلالة إلى أن تنتهي الحياة

الدنيا كما جاء في الحديث ما أخبر به الصادق المصدوق في قوله: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أحَدٍ يقُولُ اللَّهُ اللَّهُ وَلاَ تقومُ إلاَّ على شِرَارِ الناس.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: عن علي بن أبي طالب قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما صلى صلاته ناداه رجل متى الساعة؟ فزبره (نهره) رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره وقال اسكت حتى إذا أسفر رفع طرفه إلى السماء فقال: تبارك رافعها ومدبرها. ثم رمى ببصره إلى الأرض. فقال: بارك داحيها (باسط الأرض وموسعها) وخالقها، ثم قال: أين السائل عن الساعة؟ فجثا الرجل على ركبتيه فقال: أنا بأبي أنت وأمي سألتك. فقال: ذلك عند حَيْفِ (ظلم) الأئمة وتصديق بالنجوم وتكذيبٍ بالْقدرِ، وحتى تتخذ الأمانة مَغْنماً والصَّدقَةُ مَغْرَماً والفاحِشةُ زيَادَة فَعِنْدَ ذلكَ هَلَك قَوْمُك.

قلت: والناس قد عانوا على مر الأزمنة من ظلم الكثير من ولاة الأمور، والناس الآن تصدق في النجوم والأبراج حتى إن أحدهم لا يخرج من بيته حتى يقرأ حظك اليوم في الصحف فإذا ما وجد خيرًا استبشر وإن وجد شر تشائم.

وقال الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اتُّخِذَ الغنِي والأمانةُ مغنماً، والزكاة مغرماً، وتُعاّلَمَ لغير الدين، وأطاع الرجلُ امرأتَه وعنَّ أمَّهُ وأدْنَى صديقهُ وأقصَى أبَاه، وظهَرتِ الأصواتُ في المساجِدِ وسادَ القبيلَةَ فاسقُهُمْ وكان زعيمُ القوم أرذلهِم وأكرم الرجلُ مخافةَ شرهِ، وظهرت ألقَيْنَاتُ والمَعازفُ، وشُرِبَتِ الخمورُ، ولَعَنَ آخِر هذه الأمّةِ أوَلَها فلْيَرْتَقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآياتٍ تَتَابَعُ كنِظام بال قُطِعَ سلكُهُ فَتَتَابَع.

والناظر لهذا الحديث ولحال الناس الآن سيجد كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرح حالنا في وقتنا الحالي وكأنه يشاهده.

وروي البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان، ولا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان وتكثر الفتن ويكثر الهرج، ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، ولا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ليتني مكانك ولا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال حتى يهم رب المال من يقبله منه.

قلت: وبالفعل قد تطاول الناس في البنيان فتجد أن البناية الواحدة يعيش فيها العشرات من الناس أو المئات أوالآلاف، والآن نري بدولة الإمارات بدبي العربية برج خليفة أعلى مبني في العالم والذي تحدى به أصحابه الغرب أنهم لا يقدروا أن يقيموا بناء أعلى منه في مدة خمسة عشرة سنة والذي يقيم فيه ما يقارب المائة ألف نسمة وهناك فرق توقيت بين أسفل المبنى وعاليه.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن أعر ابياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى الساعة؟ فقال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: يا رسول الله: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. **وروي الإمام أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان (كناية عن قلة بركة الزمن)، فتكون السنة كالشهر، والجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة. **والسعفة:** الخوصة.

وروي الإمام أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تذهب الدنيا حتى تصير لكع بن لكع. **واللكع:** هو اللئيم، والمراد صيرورة الدنيا إلى اللؤم صيرورة أهلها الموجودين فيها ومن قبلهم آباؤهم: أي أن يتعاقب جيلان على الأقل من أجيال الأمة على رداءة الطبع وانحراف السلوك. **وروي كذلك أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** قبل الساعة سنون خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة. **والرويبضة:** هو الصغير التافه يتحدث في أمور العامة. **وروى أحمد عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** إن من أشراط الساعة أن يرى رعاء الشاة رؤوس الناس، وأن ترى الحفاة العراة الجوع يتبارون في البناء، وأن تلد الأمة ربتها أو ربها. **وروى الحافظ أبو بكر البزار عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** والذي بعثني بالحق لا تنقضي هذه الدنيا حتى يقع بهم الخسف، والقذف، والمسخ، قالوا: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا رأيت النساء ركبن الفروج، وكثرت القينات، وكثرت شهادة الزور، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

العلامة الثانية

جبل من ذهب في نهر الفرات

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يُوشِك الفراتُ أَن يَحْسِر عن كنز من ذهب فمن حَضَر فلا يأخُذْ منه شيئًا. **وروي عقبة عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله إلا أنه قال:** يَحْسِرُ عن جَبَل من ذَهَب. **وكذلك رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** لا تقوم الساعة حتى يَحْسِرَ الفراتُ عن جبل من ذهب يَقْتتِل الناسُ عليه فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مائة تِسْعَةٌ وتسعون ويقول كلُّ رجل منهم لعلي أكون أنا الَّذِي أَنْجُو.. وقد فسر بعض الفقهاء المحدثين أن هذا الذهب الذي يحسر عنه الفرات هو البترول لأنه يسمى بالذهب الأسود، وفي هذا نظر لأنه صلى الله عليه وسلم يقول: يحسر الفرات. أي يجف ماؤه، والفرات مازال جاريًا حتى الآن.

كما أنه صلى الله عليه وسلم قال في الرواية الأخرى: يحسر عن جبل من ذهب. وهذا يؤكد أن الحديث على ظاهره وأن هذا ما سوف يحدث في المستقبل، وأن الفرات سيحسر عن جبل من ذهب يتقاتل عليه الناس مقتلة عظيمة؛ حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون أي من بين كل ألف يقتلون يبقى عشرة فقط.

العلامة الثالثة

إزدهار أرض العرب ثم عودتهم إلى عبادة الأصنام

روى سفيان الثوري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا تذهب الأيام والليالي حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وحتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، وينجو واحد.

وخرّج السيوطي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا. **وعن أبي هريرة روي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة طاغية دوس الذي كانوا يعبدون في الجاهلية. **وفي صحيح مسلم من حديث الأسود بن العلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:** لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى. فقلت يا رسول الله: إن كنت لأظن حين أنزل الله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}. أن ذلك تام، فقال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحًا طيبة يتوفى بها كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد القبائل من أمتي الأوثان. **قال الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد:** ففي هذه الأحاديث دلالة قاطعة على أن الشرك واقع في هذه الأمة فإذا الأمر كذلك فيجب على المسلمين أن يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي قد تؤدي بأحدهم إلى الشرك مثل ما نحن فيه من بناء المساجد على القبور ونحو ذلك مما سبق بيانه مما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر أمته منه. ولا يغتر أحد بالثقافة العصرية فإنها لا تهدي ضالًا ولا تزيد المؤمن هدى إلا ما شاء الله وإنما الهدى والنور فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم إذ يقول: {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم} **15-16 المائدة.**

العلامة الرابعة

حروب العرب والروم

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو في بناء له فسلمت عليه. فقال: عوف. قلت: نعم يا رسول الله. قال: ادخل. فقلت: كلي أو بعضي؟ قال: بل كلك. (كناية عن ضيق المكان) قال: فقال لي: اعدد عوف ستًا بين يدي الساعة أولهن موتي. قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكتني. قال: قل: إحدى. والثانية فتح بيت المقدس قل اثنين. والثالثة فتنة تكون في أمتي وعظمها. والرابعة موتان يقع في أمتي يأخذهم كقعاص الغنم. والخامسة يفيض المال فيكم فيضًا حتى إن الرجل ليعطي المائة دينار فيظل يسخطها قل خمسًا. والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يسيرون إليكم على ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا؛ فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها: الغوطة فيها مدينة ويقال لها: دمشق. **قلت:** وقد يكون هذا كناية عن الحروب الصلبية التي دارت بين المسلمين ومسيحو أوروبا على مدى عشرات السنين.

وروى مسلم عن نافع بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تغزون جزيرة البحر فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الرومَ فيفتحها الله، ثم تغزون الدجالَ فيفتحه

الله. وروى مسلم عن موسى بن على، عن أبيه قال: قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تقوم الساعة والروم أكثرُ الناس. فقال له عمرو: أبْصِرْ ما تقولُ. قال: أقُولُ ما سمعتُ من رسولٍ الله صلى الله عليه وسلم. قال: لئِنْ قلتَ ذَاك فإن فِيهِمْ لخِصالاً أرْبعاً: إنَّهم لأحكمُ الناس عند فتنةٍ، وأسرعُهم إفَاقَة بعد مصية، وأوشكهم كرةً بعد فَرَقٍ، وخيرُهم لمِسْكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظُلم الملوك.

قال ابن كثير في النهاية: وهذا يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفة منهم كما نطق به الحديث المتقدم أنه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، والروم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، فمنهم أولاد عم بني إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق، فالروم يكونون في آخر الزمان خيراً من بني إسرائيل، فإن الدجال يتبعه سبُعون ألفاً من يهود أصبهان فهم أنصار الدجال، وهؤلاء أعني الروم قد مدحوا في هذا الحديث فلعلهم يسلمون على يدي المسيح ابن مريم والله أعلم.

وسنرى بعد قليل في فتح القسطنطينية أنه كان هناك من الفرق الأوروبية الرومية الكثير في هذا الفتح العظيم.

العلامة الخامسة

مقاتلة الترك

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعةُ حتى تقاتلوا قوماً نعالُهم الشعرُ، وحتى تُقَاتِلوا الترك صغِارَ الأعين حمْرَ الوجوه ذلفَ الأنوفِ (فطس الأنوف، قصارها مع انبطاح. وقيل: هو غلظ في أرنبة الأنف. وقيل: تطامن فيها. وكله متقارب) كأنَّ وُجُوهَهم الْمَجَانُّ الْمَطَرَّقَةُ (المجان جمع مجن وهو الترس) وتجدون خيْرَ الناس أشدَّهم كراهةً لهذا الأمرِ حتى يدخلَ فيه والناسُ معادنُ خِيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام وليأتِيَنَّ على أحدِكم زمانٌ لأنْ يراني أحب إليهِ من أن يكونَ له مثلُ أهله وماله.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا حوراً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر.

قال ابن كثير في النهاية: والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم، وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريبًا فقد يكون هذا أيضًا واقعاً مرة أخرى عظيمة بين المسلمين

وبين الترك حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج كما سيأتي ذكر أمرهم، وإن كانت أشراط الساعة أعم من أن تكون بين يديها قريبًا منها فإنها تكون مما يقع في الحملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل، إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب كما سترى ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

العلامة السادسة

ذو السويقتين وتخريب الكعبة المشرفة

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يُخَرِّبُ الكعبة ذُو السُّوَيْقَتَيْن من الحبشة، ويَسْلبها حَلِيَّها، ويُجَرِّدُهَا مِن كُسْوَتِهَاة ولكأني أنظرُ إليه أصَيلِعاً أفَيْدِعًا يضرب عليها بمَسَاحِيه ومِعْوَلِهِ.

وذو السويقتين: قال ابن الأثير في النهاية لغريب الحديث السويقة: تصغير الساق وهي مؤنثة فلذلك ظهرت التاء في تصغيرها وإنما صغر الساق لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة. أصيلع: قال ابن الأثير: هو تصغير الأصلع، الذي انحسرت الشعر على رأسه. أفيدعًا: أي به فدع وهو اعوجاج المفاصل. مساحيه: المسحية هي المجرفة من الحديد. المعول: الفأس العظيم التي ينقر بها الصخر.

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة. **وقال صلى الله عليه وسلم:** كأني أنظر إليه أسود أفحج ينقضها حجرًا حجرًا -يعني الكعبة-.

الأفحج: من به فحج: وهو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ذو السويقتين من الحبشة يُخَرب بيت الله. كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقومُ الساعة حتى يخْرج رجلٌ مِنْ قحطان يسوق الناس بعصاه. ويسوق الناس بعصاة: هي كناية عن الملك شبهة بالراعي وشبه الناس بالغنم. **قال ابن كثير في النهاية:** وقد يكون هذا الرجل هو ذا السويقتين، ويحتمل أن يكون غيره فإن هذا من قحطان، وذاك من الحبشة فالله أعلم. **وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله**

صلى الله عليه وسلم: لا يَذْهب الليلُ والنهارُ حَتّى يَمْلِكَ رجُلٌ من المَوالي يُقَالُ لَهُ جَهْجَاه. فيحتمل أن يكون هذا اسم ذي السويقتين الحبشي والله تعالى أعلم.

وقد روى الإمام أحمد عن جابر أن عمر بن الخطاب أخبر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سَيَخرُجُ أهل مكة ثم لا يَمُرُّ بِهَا أوْ لاَ يَعْبُرُ بها إلاَّ قليل، ثم تَمْتلىء ثم يَخْرجُون مِنْهَا فَلاَ يَعُودُون إليها أبداً.

العلامة السابعة

خراب المدينة والكثير من بلاد المسلمين

المدينة المنورة ستتعرض للضعف حين يعمر بيت المقدس؛ **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** عمرانُ بيتِ المقدِس خرابُ يثرب، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال. قال: ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال: إنَّ هَذَا لَحَق مِثْلُ مَا إِنَّكَ ها هُنَا أوْ كَمَا أَنَّكَ قاعد.

وقد روى القرطبي من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب على المنبر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم يقول: يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيَعْمُرُونَها حتى تمتليء، ثم يَخْرُجُونَ منها ثم لا يعودون إليها أبدًا. **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي (يريد عوافي السباع والطير)، ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشى، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما. وفي حديث حذيفة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها؟ **وفي حديث آخر عن أبي هريرة:** يخرجون منها ونصف ثمرها رطب. قال: ما يخرجهم منها يا أبا هريرة؟ قال: امرؤ السوء. **قلت:** قد يكون كناية عن ذي السويقتين.

وقال القرطبي في التذكرة، وروي من حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ويبدأ الخَرابُ في أطْراف الأرض حتى تَخْرِبَ مصرُ، ومصر آمنةٌ من الخراب حتى تخربَ البصرة، وخراب البصرة من الغرق، وخراب مصر من جفاف النيل، وخراب مكة وخراب المدينة من الجوع، وخراب اليمن من الجرَاد، وخراب الأُبلَّةِ (مكان في البصرة) من الحصارِ، وخرَاب فارِسَ من الصَّعاليكِ، وخراب التركِ من الدَّيْلَم، وخراب الديلم من الأرْمَن، وخراب الأرمن من الخَزرِ، وخرابُ الخزر منَ التُّرْكِ، وخراب الترك من الصَّواعِق، وخراب السند من الهِنْدِ، وخراب

الهند من الصين، وخراب الصين من الرُّمُل، وخراب الحبشةِ من الرجفة، وخراب الزَوراءِ (مكان بالمدينة قرب المسجد) من السُّفْياني، وخراب الروحاءِ (مكان بين الحرمين على بعد ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة) من الخَسْفِ وخراب العراق من القتل. **ثم قال ورواه أبو الفرج بن الجوزي؛ قال:** وسمعت أن خراب الأندلس بالريح العقيم. (ولم أقف على هذا الحديث)

العلامة الثامنة

ثلاثون دجال

روى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كذابون، كلهم يكذب على الله وعلى رسوله. **وروى أحمد عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** بين يدي الساعة قريبٌ من ثلاثين دجالين كلهم يقول أنَا نَبِي. وروي الحافظ عن ابن عمر **قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:** إن في أمتي لنَيفًا (ما بين الثلاثة إلى التسعة) وسبعينَ داعِياً كلُّهُم داع إلى النار لو أشاءُ لأنبأتُكم بأسْمائهم وقبائلهم. **قال الألباني:** ومن هؤلاء الدجالين ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة وله أتباع منتشرون في الهند وألمانيا وإنكلترا وأمريكا ولهم فيها مساجد يضلون بها المسلمين، وكان منهم في سوريا أفراد استأصل الله شأفتهم وقطع دابرهم. ولهم عقائد كثيرة غير اعتقادهم بقاء النبوة بعده صلى الله عليه وسلم. وسلفهم فيه ابن عربي الصوفي ولهم في ذلك رسالة جمعوا فيها أقواله في تأييد اعتقادهم المذكور لم يستطع المشايخ الرد عليها لأنها مما قاله ابن عربي مع جزمهم بتكفيرهم ولا مجال لذكر شيء من عقائدهم الآن وهم بلا شك ممن عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عنه: يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم. وإن من أبرز علاماتهم أنهم حين يبدءون بالتحدث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شيء بإثبات موت عيسى عليه الصلاة والسلام فإذا تمكنوا من ذلك بزعمهم انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهي ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام ويتظاهرون بالإيمان بها ثم سرعان ما يتأولونها ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته بأن المقصود نزول مثيل عيسى وأنه هو غلام أحمد القادياني ولهم من مثل هذا التأويل الشيء الكثير والكثير جدًا مما جعلنا نقطع بأنهم طائفة من الباطنية الملحدة. ومن ضلالات القاديانية إنكارهم للجن كخلق غير الإنس ويتأولون كل الآيات والأحاديث المصرحة

بوجودهم ومباينتهم للإنس في الخلق بما يعود إلى أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون إنه إنسي شرير فما أضلهم.

العلامة التاسعة

سنرى عجائب وغرائب

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج الرجل من عند أهله فيخبره شراك نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده. وهذا كناية عن انكشاف الأسرار ورصد القريب والبعيد لها لإذاعتها.

وروي أيضاً عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وتكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده.

العلامة العاشرة

فتح القسطنطينية

من علامات قرب يوم القيامة فتح القسطنطينية أو إسلام بول أو إستنابول أو الأستانة كما سماها فاتحها بعد نصرهم وظفرهم. ولقد تنبأ بهذا الفتح العظيم نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم كما تنبأ بفتح رومية أو روما عاصمة إيطاليا، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء دخل زائرًا على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يومًا فأطعمته ونام صلى الله عليه وسلم وقت القيلولة عندهم فاستيقظ وهو يضحك، **قالت: فقلت:** يا رسول الله ما أضحكك؟! **قال:** رأيت قومًا ممن يركب ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة. **قالت: قلت:** يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. **قال:** فإنك منهم. **قالت:** ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، **قالت: فقلت:** يا رسول الله ما أضحكك؟! فقال مثل مقالته، **قلت:** يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. **قال:** أنت من الأولين.

فالأول هو فتح قبرص على يد معاوية بن سفيان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما وأرضاهما وتحققت نبوته صلى الله عليه وسلم فأم حرام هذه تزوجت من عبادة بن الصامت وقد كان ممن غزا في البحر فحملها معه وفتح الله على المسلمين، وهناك في قبرص جاءت أم حرام لتركب بغلة فصرعتها البغلة واندقت عنقها وماتت ودفنت هناك رضي الله عنها وأرضاها.

أما الفتح الثاني فهو فتح القسطنطينية؛ **فقد روى الإمام أحمد في صحيحه عن أبو قتيل، قال:** كنا عند عبد الله بن عمر وسئل أي المدينتين تفتح القسطنطينية أو رومية؟. فدعا عبد الله بصندوق له حلق فأخرج منه كتاباً، **قال: فقال عبد الله:** بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المدينتين نفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** مَدِينة هرَقلَ تُفْتَحَ أَولاً يعني القسطنطينية.

وبالفعل تحقق الفتح الأول بعد ثمانمائة عام على يد السلطان العثماني العظيم محمد الفاتح، ولسوف يتحقق الفتح الثاني –فتح روما- بإذن الله تعالى ولابد.

العلامة الحادية عشر

نار الحجاز

روى البخاري في صحيحة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تَقُومُ الساعةُ حتى تخرجَ نارٌ من أرض الحجاز تضيءُ لها أعناقُ الإبلَ بِبُصرى. أي لا تقوم الساعة حتى تنفجر من أرض الحجاز نارًا.

تضيء أعناق الإبل: أي تجعل النار على أعناق الإبل ضوءًا.

بصرى: مدينة معروفة بالشام.

وبالفعل قد ظهرت تلك النار في المدينة واستمرت شهرًا عام 654 للهجرة نتيجة لإنفجار بركان حدث في هذا الوقت. **فقد روى الإمام بن كثير في النهاية:** وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة، وكان شيخ المحدثين في زمانه وأستاذ المؤرخين في أوانه أنه في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في بعض تلك الأودية طول أربعة فراسخ وعرض أربعة أميال تسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك (النحاس أو الرصاص أو القدير المذاب)، ثم يصير كالفحم الأسود وإن ضوءها كان الناس يسيرون عليه بالليل إلى تيماء وأنها استمرت شهرًا، وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعارًا.

وأخبرني قاضي القضاة صدر الدين على بن القاسم الحنفي قاضيهم بدمشق عن والده الشيخ صفي الدين مدرس الحنفية ببصرى أنه أخبره واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة ممن كان بحاضرة بلد بصرى أنهم شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: قال أبو شامة: وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم: لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين، عاد الناس يسمعون صوتًا مثل

صوت الرعد، فانزعج لها الناس كلهم، وانتبهوا من مراقدهم وضج الناس بالإستغفار إلى الله تعالى، وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه، وتمت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها وليلة الجمعة، وصبح يوم الجمعة ارتجت الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم، وأشفق الناس من ذنوبهم، وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر، ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض، فارتاع لها الناس روعة عظيمة، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة، ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها القلعة، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجرة الشريفة، واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤوسهم وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنبيه عليه الصلاة والسلام، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل، وخرج النساء من البيوت والصبيان، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله، وغطت حمرة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر، وبقيت السماء كالعلقة، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب، وبات الناس تلك الليلة بين مصل وتال للقرآن وراكع وساجد، وداع إلى الله عزوجل، ومتنصل من ذنوبه ومستغفر وتائب، ولزمت النار مكانها وتناقص تضاعفها ذلك ولهيبها، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه، فطرح المكس وأعتق مماليكه كلهم وعبيده، ورد علينا كل ما لنا تحت يده، وعلى غيرنا، وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهابا، وهي كالجبل العظيم ارتفاعًا و كالمدينة عرضًا، يخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوي فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمي كالرعد. وبقيت كذلك أيامًا ثم سالت سيلانا إلى وادي أجيلين تنحدر مع الوادي إلى الشظا، حتى لحق سيلانها بالبحرة بحرة الحاج، والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض، ثم سكنت ووقفت أيامًا، ثم عادت ترمي بحجارة خلفها وأمامها، حتى بنت لها جبلين وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أيامًا، ثم إنها عظمت وسناءها إلى الآن، وهي تتقد كأعظم ما يكون، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضحوة، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال، وإنما هذا طرف يكفي. والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن.

وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وستمائة: في يوم الجمعة ثامن عشررجب - يعني من هذه السنة- كنت جالسًا بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم صحبة قاصد يعرف بقيماز العلوي الحسني المدني، فناوله الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى ارتج القبر الشريف النبوي، وسمع صرير الحديد، وتحركت السلاسل، وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة، وكانت ترمي بزبد كأنه رؤوس الجبال، ودامت خمسة عشر يوما.

العلامة الثانية عشر

المهدي المنتظر

تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلف. **روى الإمام أحمد بن حنبل عن أبي الطفيل قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:** لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلًا منا يملأها عدلًا كما ملئت جورًا. **وقال صلى الله عليه وسلم:** المهدي من عترتي من أولاد فاطمة. **وقال صلى الله عليه وسلم في الصحيح:** يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحًا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعًا أوثمانيًا. **وقال صلى الله عليه وسلم:** ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة. **وقال صلى الله عليه وسلم:** المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة. أي: يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك. **وقال صلى الله عليه وسلم:** لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا. **وفي رو اية:** لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي.

وقال ابن تيمية في فتاويه: الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة.

قلت: واسم المهدي: محمد بن عبد الله، من ولد الحسن بن على بن أبي طالب، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلما، فيملؤها عدلاً وقسطا.

قال العلامة السفاريني: قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم. إلى أن قال: وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين بعدهم ما يفيد مجموعة العلم القطعي؛ فالإيمان بخروج المهدي

واجب؛ كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة. **ثم قال السفاريني:** قال أهل العلم: يعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يوقظ نائمًا، ويقاتل على السنة؛ لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، ويقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم؛ يكسر الصلب، ويقتل الخنزير، ويرد إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورًا.

ثانيا: العلامات الكبرى

العلامات الكبرى هي علامات تدل على قرب وقوع يوم الفصل بين العباد، وهي علامات عظيمة لا تخفى على عاقل ولا تخفى على من كان له سمع وبصر، **وهن عشر آيات قد حصرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح: إن الساعة لا تقوم حتى تكون عشر آيات**: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق؛ وخسف بالمغرب؛ وخسف بجزيرة العرب، ونزول عيسى، وفتح يأجوج ومأجوج، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا.

الآية الأولى: الدخان

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة وصححه الألباني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بادروا بالأعمال ستًا: الدخان، والدجال، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويصة أحدكم. **وأمر العامة معناه:** يوم القيامة؛ لأنها تعم كل الناس. **وخويصة أحدكم معناه:** موت أحدكم.

والدخان هو المذكور في قوله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} **10 الدخان. وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** إن الساعة لا تقوم حتى تكون عشر آيات: الدخان.. الحديث. ولقد ذهب بعض الصحابة والفقهاء إلى أن آية الدخان قد ظهرت وانقضت فقد روى البخاري عن مسروق، قال: بينما رجل يحدث في كندة، قال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتينا ابن مسعود قال: وكان متكئًا فغضب فجلس، وقال: يا أيها الناس: من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عليه مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} **86 ص**. إن قريشًا أبطأوا عن الإسلام، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، وحتى كان الرجل يرى بينه وبين الأرض الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم، وقومك قد هلكوا، فادع الله. فقرأ هذه الآية: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأتي السَّماءُ بِدُخَّانٍ مُبِين يغْشَى النَّاسَ هذا عَذابٌ إلمٌ رَبَّنا اكشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُون} **10 الدخان**. أفنكشف عنكم عذاب الآخرة إذا جاء؟ لقد كشف عنهم عذاب الدنيا ثم

عادوا إلى كفرهم فذلك قوله: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى}. فذلك يوم بدر، فسوف يكون لزاماً: {الم غلِبَتِ الرُّومُ في أدْنَى الأرْض وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} **1الروم**. قد مضى، فقد مضت الأربع: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة. وقد وافق ابن مسعود على تفسير الآية بهذا، وأن الدخان مضى، جماعة من السلف كمجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعطية العوفي، وهو اختيار ابن جرير.

وذهب الكثير أيضًا إلى عكس ذلك فقالوا: أن آية الدخان ليست هذه، وأنها آية عظيمة ستكون في نهاية الزمان دالة على قرب وقوع الساعة، **ففي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لإبن الصياد:** إني خبأت لك خَبْأ. قال: هو الدُّخ. فقال له: اخسأ فلن تعدو قدرك. قال: وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِين}.

قال ابن كثير في النهاية: وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان، وهم يُقَرطمون العبارة؛ ولهذا قال: هو الدُّخ. يعني: الدخان. فعندها عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وأنها شيطانية، فقال له: اخسأ فلن تعدو قدرك. **وقال ابن أبي حاتم: عن علي رضي الله عنه، قال:** لم تمض آية الدخان بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وتنفخ الكافر حتى ينفذ.

وروى ابن جرير: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ، **أي:** المشوي. **ثم قال ابن جرير:** عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس، رضي الله عنهما، ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين على أن الدخان من الآيات المنتظرة.

قلت: وهذا ما أذهب إليه من أن آية الدخان من الآيات العظام الظاهرة في نهاية الزمان والدالة على قرب قيام الأموات، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عدها في الآيات العشر العظام أو الكبار فقال: إن الساعة لا تقوم حتى تكون عشر آيات: الدخان..

وقال الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِين} أي: دخان بيّن واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه: إنما هو خيال ليس حقيقي ولا مبين رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. وهكذا قوله: {يَغْشَى النَّاس} أي: يتغشاهم ويَعُمهم، ولو كان أمرا خياليا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: {يَغْشَى النَّاس}. وقوله: {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلا إِنَّكُمْ عَائِدُون} يحتمل معنيين: أحدهما: أنه يقوله تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار

الدنيا، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون} 75 المؤمنون، وكقوله: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُون} **28 الأنعام**. والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم، كقوله تعالى: {إلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِين} **98 يونس**، ولم يكن العذاب باشرهم، واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه ووصوله عليهم، ولا يلزم أيضًا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخبارًا عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا:{لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} **88-89 الأعراف**. وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم. **وقال قتادة:** {إِنَّكُمْ عَائِدُون} إلى عذاب الله. وقوله تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُون} فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر وهو محتمل ولكن الظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضًا. **قال ابن جرير:** عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة.

الآية الثانية: خروج الدجال ونزول المسيح

المسيح الدجال أو مسيح الضلالة قد أنذرت به -الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- أقوامهم، وحذرت منه أممهم، وبينت أوصافه، وحذر منه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكثر وبين أوصافه، ونعته لأمته نعوتًا لا تخفى على ذي بصيرة. وسمي المسيح لأنه عينه ممسوحة، وقيل: لأنه يمسح الأرض؛ أي: يقطعها. ويسمى الدجال من الدجل، وهو الخلط؛ يقال: دجل: إذا خلط وموه، ودجال على وزن فعال، من أبنية المبالغة؛ أي: يكثر منه الكذب والتلبيس.

والدجال هو رجل من بني آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس في آخر الزمان. فيكون بدء ظهوره من أصبهان (ومدينة أصبهان أو أصفهان هي مدينة إيرانية) من حارة منها يقال لها اليهودية وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي عليهم الأسلحة والتيجان وهي الطيالسة الخضراء. وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار وخلق من أهل خراسان (اقليم قديم يشمل ايران وأفغانستان وبعض مناطق أفريقيا الوسطى).

يظهر الدجال أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم والطغام من الرعاعِ والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هدى الله من

عباده الصالحين وحزب الله المتقين، يأخذ البلاد بلداً بلداً وحصناً حصناً وإقليماً إقليماً ومنطقة منطقة، ولا يبقى بلد من البلاد إلا وطئه بخيله ورجله غير مكة والمدينة، ومدة مقامه في الأرض أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس هذه ومعدل ذلك سنة وشهران ونصف شهر.

وينزل عيسى ابن مريم مسيح الهدي فى أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة، على المنارة الشرقية بدمشق فيجتمع عليه المؤمنون ويلتف به عباد الله المتقون، فيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم قاصداً نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس فيدركهم عند عقبة أفيق (وهي عقبة بنواحي الأردن) فينهزم منه الدجال فيلحقه عند مدينة باب لد (قرية بجوار تل الربيع فلسطين المحتلة)، فيقتله بحربته وهو داخل إليها؛ ويقول: إن لي فيك ضربة لن تفوتني. وإذا واجهه الدجال يذوب كما يذوب الملح في الماء فيتداركه فيقتله بالحربة بباب لدّ، فتكون وفاته هناك لعنه الله كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه.

صفة الدجال

قد تقدم في الأحاديث أنه أعور وأنه أزهر هجين وهو كثير الشعر، وفي بعض الأحاديث أنه قصير وفي حديث أنه طويل، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن. **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة؛ فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينًا وشمالًا يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبلي نبي (إنه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فـ)، يقول: أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب; وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا؛ فناره جنة وجنته نار؛ فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف. (فتكون بردًا وسلامًا كما كانت النار على إبراهيم) وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه؛ فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك. وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين؛ ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه ثم يزعم أن له ربا غيري. فيبعثه الله؛ ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال، والله ما

كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم. وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت؛ وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت؛ وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعًا، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص. قيل: فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل. (وجلهم ببيت المقدس) .. الحديث.**(خرجه السيوطي عن أبي أمامة وصححه الألباني إلا فيما بين الأقواس؛ قد ضعفه الألباني)**

ولا يمنع أن يكون للدجال أشياء من الخوارق يجريها الله عليه يديه حتى يفتن ضعاف الإيمان. **فإن قال قائل:** إن ظهرت على يديه خوارق أليس من الممكن أن يخدع به الناس ويظنوه نبي أو إله؟ الجواب: قد هذا يكون لو أن الله تعالى لم يأمر رسله بإنذار العباد منه ومن فتنته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته، وسأحذركموه بحديث لم يحذره نبي أمته. **وفتنة الدجال هي أعظم فتنة في تاريخ البشرية كله أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة؛ فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم.. الحديث. حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من هو عند الله تعالى وعند المؤمنين كان يتعوذ من فتنة الدجال عقب كل صلاة؛ فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول بعد التشهد: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. ولهذا فإن الدجال ليس كل أمره دجل وحيل بل هناك من الفتن ما هو خارق يجريه الله تعالى على يد الدجال لتتحقق فتنته العظمى. من ذلك قتله لإنسان قال الرب فيه أنه من أعظم الناس شهادة أو كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح -مسالح الدجال- فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض:

أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فيأمر الدجال به فيشبح فيقول: خذوه وشبحوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربًا. قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم. فيستوي قائمًا. قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين. أخرجه مسلم.

قلت: والذي يحي هذا الرجل بعد موته هو الله تعالى لا الدجال ولا غيره.

قال الإمام ابن كثير في النهاية: والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء لتمطرهم والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سماناً ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس بمخرفة بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان فيضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى معنى الحديث: هو أهون على الله من ذلك. في قوله صلى الله عليه وسلم: ما سأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر مما سألته. وقال بن نمير: أشد سؤالًا مني. فقال لي: ما تسأل عنه؟ قلت: إنهم يقولون إن معه الطعام والشراب. قال: هو أهون على الله من ذلك؛ أي هو أقل من أن يكون معه من يضل به عباده المؤمنين، وما ذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم، وإن كان معه ما معه من الخوارق، وبين عينيه مكتوب كافر كتابة ظاهرة وقد حقق ذلك الشارع في خبره بقوله ك ف ر، وقد دل ذلك على أنه كتابة حسية لا معنوية كما يقوله بعض الناس، وعينه الواحدة عوراء شنيعة المنظر ناتئة، وهومعنى قوله: كأنها عنبة طافية؟ أي طافية على وجه الماء ومن روى ذلك طافية فمعناه لا ضوء فيها، وفي الحديث الآخر: كأنها نخامة على حائط مجصص. أي بشعة الشكل، وقد ورد في بعض الأحاديث أن عينه اليمنى عوراء رحا اليسرى (أي مثلها) فإما أن تكون إحدى الروايتين غير محفوظة أو أن العور حاصل في كل من

العينين ويكون معنى العور النقص والعيب. ويحتمل أن يكون المراد أن العين الواحدة عوراء في نفسها، والأخرى عوراء باعتبار انبرازها والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ابن صياد هل هو المسيح الدجال؟

ظن كثير من الفقهاء والبعض من الصحابة أن المسيح الدجال هو ابن صياد اليهودي الذي أسلم بعد ذلك، وقد كان ابن صياد من يهود المدينة ولقبه عبد الله، ويقال صاف، وقد جاء هذا وهذا وقد يكون أصل اسمه صاف ثم تسمى لما أسلم بابن عبد الله، وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين، فقد روى أن عمر بن الخطاب وأبو داود جابر بن عبد الله وغيرهم من الصحابة على إن الدجال أنه ابن صياد.

والصحيح أن ابن صياد ليس بالمسيح الدجال وكل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكًا فيه في أول أمره أهو الدجال أم لا؟ **جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر:** أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من أصحابه قبل ابن الصياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان في أطم بني مغالة وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: أشهد أنك رسول الأميين. ثم قال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟ فرصه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: آمنت بالله وبرسله. ثم قال لابن صياد: ماذا ترى؟ قال: يأتيني صادق وكاذب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلط عليك الأمر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني خبأت لك خبيئا وخبأ له (يوم تأتي السماء بدخان مبين)؟ فقال: هو الدخ. فقال: اخسأ فلن تعدو قدرك. قال عمر: يا رسول الله أتأذن لي في أن أضرب عنقه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يكن هو لا تسلط عليه وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله.

وروى مسلم من حديث مسلم بن المنكدر، قال: رأيت جابر عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد هو الدجال، فقلت: تحلف بالله؟ فقال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: أن عمر رضي الله عنه حلف بهذا عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشك في ابن صياد أنه المسيح الدجال وعلى هذا لا يكون عمر حانثًا في قسمه.

ابن صياد يدافع عن نفسه

قد ثبت في الصحيح أن ابن صياد صحب أبا سعيد الخدري فيما بين مكة والمدينة، وأنه قص لإبن صياد بما يقول الناس فيه إنه الدجال، ثم شرع ابن صياد في الدفاع عن نفسه لأبي سعيد فقال: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه لا يدخل المدينةَ؛ وقد ولدتُ بها. وإنه لا يُولَدُ له وقد وُلِدَ لي؟ وإنه كافر وإني قد أَسلمت. قال: ومع هذا فإني أعلم الناس به وأعلمهم بمكانه ولو عرض على أن أكون إياه لما كرهت ذلك. وروى عنه مالك وغيره، ولكن أكثر العلماء على أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته، وأما الدجال الأكبر فهو المذكور في حديث فاطمة بنت قيس الذي روته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تميم الداري وفيه قصة الجساسة.

قال ابن كثير في النهاية: والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعًا، وذلك لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية فإنه فيصل في هذا المقام والله أعلم؛ روي مسلم عن عامر بن شراحيل الشعبي، سمعت حمدان يسأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول، فقال: حَدِّثِينِي حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تَسْتَنِدِينَ فيه إلى أحَدٍ غيرِهِ، فقالت: سمعت مناديَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي الصلاةُ جامعةٌ فخرجتُ إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت في صف النساءِ التي تلي ظهور القوم. فلما قَضى رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم صلاتَه جَلَسَ على المنبرِ وهو يَضْحَكُ فقالَ: لِيَلْزَمْ كل إنسانٍ مُصلاهُ. ثم قال: أتدرُونَ لِم جَمَعْتُكُمْ؟ قالوا: اللَّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: إني واللَّهِ ما جمعتكم لِرغبةٍ ولا لِرَهْبَة، ولكن لأن تميمًا الدَّارِي كان رجلاً نَصرانيًا فجاءَ فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحَدّثكم عن المسيح الدجالِ، حدثني أنه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَخْم وجُذَامَ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرْسَوا إلى جزيرة في البحر حيث تَغْرُبُ الشمسُ (أي الغرب) فجلسوا في أقرب السفينة (أدنى مكان من الشاطئ إلى السفينة) فدخلوا الجزيرة فَلَقِيَهُمْ شَيْءُ أهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعْرِ لاَ يدْرُونَ مَا قُبُلُه مِن دُبُرِهِ مِنْ كِثْرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أنْتَ؟ قال: أنا الجَسَّاسَةُ. قالوا: وما الجَسَّاسَةُ؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل بالدَّيْر فإنه إلى خَبَرِكُم بِالأشواق (أي شديد الشوق إلى خبركم) قال: فلما سَمّتْ لَنَا رجلاً فَرِقْنَا منها أن تكون شيطانة. قال: فانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حتى دخلنا الديرَ، فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قط خَلْقاً وأشَدَّه وثاقاً مجموعةٌ يداه إلى عُنُقِهِ ما بين ركبتيهِ إلى كعبيه بالحديد. قلنا: وَيْلَكَ مَا أنْتَ؟ قالَ: قَدْ قدَرْتُمْ على خَبَرِي فأخبروني ما أَنتم؟ قالوا: نحن أناسٌ من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتَلَمَ (أي هاج واشتدت أمواجه)، فلعب بنا

الموج شهراً ثم أرْفأنا (التجأنا) إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربهَا فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أَهلب كثيرةَ الشَعر ِما ندري ما قبُلهُ من دُبُرِهِ من كثرة الشعرِ، فقلنا: وَيْلَكَ ما أنت؟ فقالت: أنا الجَسَّاسَةُ، قالت: أَعمدوا إِلى هذَا الرجل في الدَّيْر ِفإِنه إِلى خَبَرِكُمْ بِالأَشوَاق، فأقبلنا إلىكم سراعاً وفَزِعنَا منها ولم نَأْمَنْ أن تكون شيطانة،

فقال: أخبروني عن نخل بَيْسَانِ (بيسان: مدينة بالأردن، وكانت توصف بكثرة النخل وهي الآن ليس فيها غير نخلتين حائلتين) فَقلنا عن أيّ شأنها تَسْتَخْبِرُ؟ قال: أسألكم عن نَخْلها هل يُثْمَرُ؟ قلنا له: نَعَم. قال: أمَا إِنَّه يُوشِك أن لا يُثْمِرَ.

قال: أخبروني عن بحيرة الطَّبَرِيَّةِ، قلنا: عن أي شَأنها تستخبر؟ قال: هل فيهَا مَاءَ؟ قالوا: هي كثيرة الماءَ. قال: إِن ماءَها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زُغَرْ (وهي عين ماء تقع على أطراف البحر الميت) قالوا: عن أَي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماءُ؟ وهل يَزْرَعُ أهلها بماءِ العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماءِ وأَهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأمِيّينَ ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل بِيَثْرِب.

قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظَهَرَ على مَنْ يليهِ من العرب وأَطاعوه. قال: قال لهم قد كان ذاكَ؟ قلنا: نعم. قال: أمَا إنه خيرٌ لهم أنْ يطيعوه وإني مخبركم عَنّي، إِنّي أنَا المسِيحُ، وإني يُوشِكُ أنْ تُؤْذَن لِي في الخروج فَأَخْرُجَ فأسيرُ في الأرض فلا أدَعَ قريةً إِلا هَبَطتُها في أربعين ليلةً غير مكة وطيبةَ فهما محرمتانِ على كِلْتَاهُمَا كُلما أَرَدْتُ أن أدخل واحدة أو إِحداهما اسْتَقْبَلَني مَلك بِيَدِهِ السيفُ صَلْتا يَصُدَّني عَنْهَا، وإِنَّ عَلَى كلِّ نَقْبٍ منها ملائكة يحرسونها. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وطَعَنَ بِمِخْصَرتِهِ في المنبر؛ هذه: طيبةُ يَعني المدينَةَ ألاَّ هَلْ كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناسُ: نَعَمْ. قال: إِنَّهُ أعْجَبَني حديث تميم إِنَّهُ وافق الذي كنتُ أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألاَ إِنه في بحر الشام أو بحر إلىمن لا بل من قبل المشرق. وَأوْمأ (أشار) بيده إِلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الألباني: وينبغي أن يعلم أن هذه القصة وقعت في آخر حياته صلى الله عليه وسلم لأن فاطمة بنت قيس ذكرت أنها بعد انقضاء عدتها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يحدث بحديث تميم الداري وأنه جاء وأسلم. وقد ثبت في ترجمة تميم أنه أسلم سنة تسع. **وقال:** إعلم أن هذه القصة صحيحة -بل متواترة- لم ينفرد بها تميم الداري كما يظن بعض الجهلة من المعلقين على (النهاية) لإبن كثير.

ما يعصم من فتنة الدجال

ثبت في الأحاديث الصحاح من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من فتنة الدجال في الصلاة وأنه أمر أمته بذلك أيضاً فقال: اللَّهم إنا نعوذُ بك من عَذاب جَهَنَّمَ ومن فتنةِ القبْرِ ومنْ فتنة الْمَحْيَا والمَمَاتِ ومِنْ فتنةِ المسِيح الدجال.

قال أبو عبد الله الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أبو داود عن أبي الدرداء يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: من حَفِظَ عَشْر آياتٍ من سُورةِ الكَهْفِ عصِمَ مِن فتنةِ الدجَّالِ.

قال أبو داود: كذا قال هشام عن دستواي عن قتادة إلا أنه قال من حفظ من خواتيم، وقال شعبة عن قتادة من آخر الكهف، وقد رواه مسلم من حديث همام وهشام وشعبة عن قتادة بألفاظ مختلفة، وقال الترمذي: حسن صحيح وفي بعض روايات الثلاث: عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال. وقد رواه عن غندر وحجاج عن شعبة عن قتادة وقال: من حفظ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال. وكذلك الابتعاد منه. ومما يعصم من فتنة الدجال الذي سكن المدينة ومكة شرفهما الله تعالى، فقد روي في البخاري ومسلم من حديث الإمام مالك عن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عَلَى انْقَابِ المدينة مَلاَئكةٌ لا يدخلها الطاعونُ ولا الدجال. وقد ثبت في الصحيح: أنَّهُ لا يدخلُ مكةَ ولا المدينةَ تَمْنَعهُ الملائكةُ.

نزول عيسى بن مريم

إن نزول المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما دل عليه القرآن قد أخبر به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتواتر النقل عنه بذلك، وأجمع عليه علماء الأمة سلفا وخلفًا، وعدوه مما يجب اعتقاده والإيمان به. **قال السفاريني:** ونزوله عليه الصلاة والسلام ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أما الكتاب؛ فقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}؛ أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان، حتى تكون الملة واحدة، ملة إبراهيم حنيفا مسلما.. إلى أن قال: وأما السنة؛ ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً؛ فيكسر الصلب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.. الحديث. وفي مسلم عنه: والله لينزلن ابن مريم حكما عدلاً، فيكسر الصلب؛ بنحوه. وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين، إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل بنا. فنقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة.

وأما الإجماع؛ فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة أو من لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أن ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي. **وقال القاضي عياض:** نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة؛ للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله؛ فوجب إثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى:{وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، وبقوله صلى الله عليه وسلم: لا نبي بعدي، وإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة ولا تنسخ، وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكمًا مقسطًا يحكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس.. **قال:** وأما مدته ووفاته؛ فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساكر؛ أنه صلى الله عليه وسلم قال: ينزل عيسى بن مريم، فيمكث في الناس أربعين سنة، وعند الإمام أحمد وأبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه؛ أنه يمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلى عليه المسلمون، ويدفنوه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فتاويه: وعيسى حي في السماء، لم يمت بعد، وإذا نزل من السماء؛ لم يحكم إلا بالكتاب والسنة، لا بشيء يخالف ذلك. **وقال:** عيسى عليه السلام حي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً وإمامًا مقسطًا، فيكسر الصلب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وثبت في الصحيح عنه؛ أنه ينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق، ويقتل الدجال. ومن فارقت روحه جسده؛ لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي؛ فإنه يقوم من قبره، وأما قوله تعالى:{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}؛ فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت؛ لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله:{وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}، ولو كان قد فارقت روحه جسده؛ لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء، وقد قال تعالى في الآية الأخرى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إليه}؛ فقوله هنا: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إليه} يبين أنه رفع بدنه وروحه؛ كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه؛ إذ لو أريد موته؛ لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل مات، ولهذا قال من قال من العلماء: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ}؛ أي: قابضك؛ أي: قابض روحك وبدنك، يقال: توفيت الحساب واستوفيته، ولفظ التوفي لا يقتضي توفي الروح دون البدن ولا توفيهما جميعا؛ إلا بقرينة منفصلة، وقد يراد به توفي النوم؛ كقوله تعالى:{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا}، وقوله:{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ}.

ولابن حزم رأي مخالف لرأي ابن تيمية.. قال ابن حزم الأندلسي في الفصل: وأن عيسي عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ولكن توفاه الله عز وجل ثم رفعه إليه. وقال عز وجل: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوه} 157 النساء. وقال تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلي} 55 آل عمران. وقال تعالى عنه أنه قال: {وَكُنتُ عليهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عليهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد} 117 المائدة. وقال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} 42 الزمر. فالوفاة قسمان: نوم وموت ولم يرد عيسي عليه بقوله فلما توفيتني وفاة النوم. فصح أنه إنما عني وفاة الموت، ومن قال إنه عليه السلام قتل أو صلب فهو كافر مرتد حلال دمه وماله لتكذيبه القرآن وخلافه الإجماع.

قلت: وكما نري فإن ابن تيمية قد خالف ابن حزم فالأول يقول أن المسيح حي كما رأينا من قبل، والآخر يقول أن عيسي ميت وأن وقت نزوله ليقتل الدجال سوف يبعث من جديد؛ والله أعلى وأعلم بالحق.

الآية الثالثة: خروج الدابة

قال الله تعالى: {وإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عليهمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّة مِنَ الأَرْض تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يوقنون} 82 النمل. **قال ابن عباس والحسن وقتادة:** تكلمهم أي تخاطبهم مخاطبة، **ورجح ابن جرير أنها تخاطبهم فتقول لهم:** إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

وعن ابن عباس: تكلمهم، تخرجهم، يعني يكتب على جبين الكافر كافر، وعلى جبين المؤمن مؤمن، وعنه تخاطبهم وتخرجهم. وقد تقدم الحديث: لا تَقُومُ الساعة حتّى تَرَوا عَشْرَ آياتٍ طُلُوعَ الشمس من مغربها والدخان والدابة .. الحديث.

ولمسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بَادِرُوا بالأعْمالِ الدجال والدخانَ ودابة الأرض وأمْرَ العامَّة وخُوَيصة أحدِكُم. **وقال عبد الرزاق المعمر: عن قتادة، أن ابن عباس قال:** هي دابة ذات زغب (شعر الصغير اللين) لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة. **وقال ابن أبي حاتم عن عطية قال:** قال عبد الله: تخرج الدابة من صدع (شق) من الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها؟ (كناية عن عظم حجم تلك الدابة) **وعن عبد الله بن عمرو أنه قال:** تخرج الدابة من تحت صخرة فتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل إليمن فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تروح من مكة فتصبح بعفسان (مكان على بعد مكة بمرحلتين) قيل له: ثم ماذا؟ قال: ثم لا أعلم. **وعنه أنه قال:** تخرج الدابة من تحت السدوم يعني مدينة قوم لوط، فهذه أقوال متعارضة والله تعالى أعلم. **وعن أبي الطفيل أنه قال:** تخرج الدابة من الصفا أو المروة رواه البيهقي. **وقال ابن أبي حاتم: عن أبا هريرة يقول:** إن الدابة فيها كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب. **وقال مسلم عن عبد الله بن عمرو، قال:** حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ أولَ الآيات خروجاً طلوعُ الشمس من مغربِها، وخروجُ الدابةِ على الناس ضُحىً فَأَيَّتُهُمَا كَانَتْ قَبْل صَاحِبَتِهَا فالأُخْرَى على إِثْرِهَا قَرِيبًا.

أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة لأن أمر مشاهدته ومشاهدة أمثاله مألوف، فأما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية.

الآية الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج

جاء اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه (كعادتهم ليختبروه) عن ذي القرنين فأوحي الله إلى نبيه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عليكُم مِّنْهُ ذِكْرا} **83 الكهف**. فأخبرهم بأن ذي القرنين هذا مكن الله له في الأرض بأن كان ملكاً أعطاه الله قدرة ما، وكان يأخذ في الأمور التي يصبو إليها أسبابها بجد واجتهاد حتى يصل إلى ما يريد مِن فَتْح المدائن وقهر الأعداء وغير ذلك بأمر الله تعالى. وكان ذو القرنين يرتحل في الأرض شرقاً غرباً ليدل الناس إلى ربهم سبحانه وتعالى ويدعو إليه ولكن قبل هذا نريد أن نعرف من هو ذو القرنين وهل هو نبي أم لا؟ بالفعل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا السؤال من قبل فقال لا أدري. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أدري تبع ألعيناً كان أم لا، وما أدري ذا القرنين أنبياً كان أم لا. وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا. **قال ابن عساكر:** الشك من النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل أن يبين له أمره ثم أخبر أنه (أي تبّع) كان مسلمًا.. ثم ساق إسناده بحديث: لا تسبوا تبعًا فإنه قد كان أسلم. ولهذا الحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن. ونحوه قول الهيثمي يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قاله في وقت لم يأته فيه العلم عن الله ثم لما أتاه قال ما رويناه في حديث عبادة وغيره. **يعني** قوله صلى الله عليه وسلم: من أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له أخرجه الشيخان وغيرهما وصححه الألباني.. وقيل أن ذو القرنين هو الملك المقدوني الإسكندر الأكبر ولكن **ابن تيمية في فتاويه أنكر هذا القول تماماً قال:** وقد يظنون أن هذا هو (ذو القرنين) المذكور في القرآن، وأن أرسطو كان وزيرًا لذي القرنين، المذكور في القرآن، وهذا جهل. فإن هذا الإسكندر بن فيلبس لم يصل إلى بلاد الترك، ولم يبن السَّدّ، وإنما وصل إلى بلاد الفرس. وذو القرنين المذكور في القرآن وصل إلى شرق الأرض وغربها، وكان متقدمًا على هذا، يقال: إن اسمه الإسكندر بن دارا، وكان موحدًا مؤمنًا، وذاك مشركًا، كان يعبد هو وقومه الكواكب والأصنام، ويعانون السحر، كما كان أرسطو وقومه من اليونان مشركين يعبدون الأصنام، ويعانون السحر، ولهم في ذلك مصنفات، وأخبارهم مشهورة، وآثارهم ظاهرة بذلك، فأين هذا من هذا؟! والراجح عندي أن ذو القرنين هذا كان من الملوك الصالحين ويؤيده: **قول مجاهد:** ملك الأرض مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان وذو القرنين، والكافران بختنصر ونمرود وسيملكها خامس من هذه الأمة.

وفي أثناء ترحال ذو القرنين: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً} **93 الكهف**. وصل الملك الصالح ذو القرنين إلى مكان ما (لا يمكن القطع به) ولكن أغلب الأمر أنه لمكان بين جبلين فوجد من دونهما قومًا لهم لغة ما غير معروفة وبالكاد استطاع أن

يتواصل معهم: {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّا} **94 الكهف**.. فقالوا له أن هناك قومًا أو قبيلتين اسمهما يأجوج ومأجوج يفسدون علينا حياتنا ومعيشتنا فهل نجعل لك أجرًا فتجعل بيننا وبينهم سدًا وحاجزًا فلا يصلون إلينا. فاستنكر عليهم قولهم نجعل لك خرجًا فقد أعطاه الله من الخير الكثير والكثير فلا ينتظر منهم ولا من غيرهم شيئًا: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عليه قِطْرا} **95-96 الكهف**. وطلب منهم أن يعينوه بقوتهم فقط لا بمالهم فيجعل بما من الله عليه من علم بينهم وبين يأجوج ويأجوج حاجزًا وحصنًا منيعًا. فقال لهم أعطوني قطع الحديد، حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين، قال للعمال: أجِّجوا النار، حتى إذا صار الحديد كله نارًا، قال: أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه فصار قطعة واحدة حصينة منيعة:{فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبا} **97 الكهف**. فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته وصلابته.

من هم يأجوج ومأجوج؟

يأجوج ومأجوج هم من ولد آدم، أناس أمثالنا؛ **قال النووي:** هم من ولد آدم عند أكثر العلماء. **وقال ابن عبد البر:** الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام. **قال ابن كثير: وذكر العلامة السفاريني:** يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك، من ذرية آدم، **ثم قال:** وهم من ذرية نوح، من سلالة يافث أبي الترك. **وقال:** وهم يشبهون الناس، كأبناء جنسهم من الترك، الغتم، المغول، المجرزمة عيونهم، الدلف أنوفهم، الصهب شعورهم، على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى؛ فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه.

وهما أمتان عظيمتان العدد فيضرب بهم المثل في الكثرة ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير كله في يديك. قال: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير: (وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن

عذاب الله شديد). قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألف.. الحديث.

وإن كنت لا أعتقد أنهم فوق ظاهر الأرض أو سطحها فإن كانوا لرأيناهم (حتى بالأقمار الصناعية)، وأغلب الظن أنهم إما في قلب جبل ما أو تحت سطح الأرض ولكن في مكان تصلهم فيه الشمس فلا حياة بدون ضوء الشمس كما نعلم، وأيضًا في مكان به ماء ونبات وحيوان وكافة الظروف اللازمة لمعايش ابن آدم وإلا كيف يحيون ويعيشون؟!

قال تعالى: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً} **98 الكهف.**

قال ذو القرنين: هذا الذي بنيته حاجزًا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض، وكان وعد ربي حقًّا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فتح اليوم من ردم يأجوج مثل هذه -وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها- قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث. وخروج يأجوج ومأجوج هو من علامات يوم القيامة.

ولكن كيف سيخرجون على الناس؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا. فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس؛ قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا إن شاء الله تعالى. واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس.

ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سيفعله يأجوج ومأجوج عندما سيخرجون من محبسهم؛ يستكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل: {من كل حدب ينسلون} فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إلهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسًا حتى إن من يمر من بعدهم ليمر بذلك النهر؛ فيقول: قد كان هاهنا ماء مرة. حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة؛ قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليه مختضبة دمًا للبلاء والفتنة فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل دودًا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقه. **وفي رواية أخرى:** ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ثم يسيرون حتى

ينتهوا إلى جبل الخمر -وهو جبل بيت المقدس- فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء. فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا; ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة; ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله قطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك ودري بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس; واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس؛ فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة.

قلت: حتى بعد زوال يأجوج ومأجوج من الأرض سيبقي لنا من آثارهم ذكرًا، فستبقي لنا من بعدهم أقواسهم وحرابهم وأسلحتهم الخشبية يوقد بها الناس سبعة سنين. **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين. أعتقد إننا الآن عرفنا مدي رحمة رب العالمين بحبسهم عنا طوال هذه العقود من الزمن وهو الذي أكده الله تعالى في قوله: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} **98 الكهف.**

وخروج الدجال يكون قبل خروج يأجوج ومأجوج: فقوله صلى الله عليه وسلم في حديث تميم الداري عن قول الدجال: قال: أخبروني عن بحيرة الطَّبَرِيَّةِ، قلنا: عن أي شَأْنِهَا تستخبر؟ قال: هل فِيهَا مَاءٌ؟ قالوا: هي كثيرة الماءَ. قال: إن ماءَها يوشك أن يذهب.

قلت: سؤال الدجال عن بحيرة طبرية وإن كان بها ماء أم لا دليل على أن الدجال لا يخرج إلا بعد خروج يأجوج ومأجوج لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خروج يأجوج ومأجوج: ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء.. وهو ما أخبر به الدجال الصحابي الجليل تميم الداري وصحبه عندما قال عن بحيرة طبرية: لقد أوشك ماءها أن يذهب. وهو يذهب بشرب يأجوج ومأجوج منه حتى نفاذه وجفاف البحيرة وهذه هي علامة خروج الدجال، والله تعالى أعلى

وأعلم. **قال ابن حزم في الفصل:** فإن قيل في القرآن ذكر سد يأجوج ومأجوج ولا يدري مكانه ولا مكانهم؟ **قلنا:** مكانه معروف في أقصى الشمال في آخر المعمور منه.

وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج في كتب اليهود التي يؤمنون بها ويؤمن بها النصارى، وقد ذكر يأجوج ومأجوج والسد أرسطاطأليس في كتابه في الحيوان عند كلامه على الغرانيق وقد ذكر سد يأجوج ومأجوج بطليموس في كتابه المسمى جغرافيا، وذكر طول بلادهم وعرضها. وقد بعث إليه الواثق أمير المؤمنين سلام الترجمان في جماعة معه حتى وقفوا عليه ذكر ذلك أحمد بن الطيب السرخسي وغيره، وقد ذكره قدامة بن جعفر والناس فيهات خبر من خبر وحتى لو خفي مكان يأجوج ومأجوج والسد فلم يعرف في شيءٍ من المعمور مكانه لما ضر ذلك خبرنا شيئاً لأنه كان يكون مكانه حينئذ خلف خط الاستواء حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كما هو في الجهة الشمالية بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة والهواء كهواء بعض البلاد التي يوجد فيها النبات والتناسل.

الآية الخامسة: شروق الشمس من الغرب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل؛ أو كسبت في إيمانها خيرًا. **وخرج السيوطي عن أبي هريرة وصحح الألباني قوله صلى الله عليه وسلم:** لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا. ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا. طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض.

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كان ذلك عرفها المتنفلون، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه، ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام، فبينما

هم كذلك، صاح الناس بعضهم في بعض، فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت حتى صارت في وسط السماء، رجعت وطلعت من مطلعها، قال فحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها. **ثم سأل ابن مردويه من طريق سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة، قال:** سألت النبي صلى الله عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ قال: تطول تلك الليلة حتى تكون قمر ليلتين فيتنبه الذين كانوا يصلون فيها، يعملون كما كانوا يعملون قبلها، والنجوم لا ترى، قد باتت مكانها، يرقدون ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون ثم يقومون، يتطاول الليل فيفزع الناس، ولا يصبحون، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم. فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيماناً أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه.

قال ابن كثير في النهاية: وإنما كان كذلك والله أعلم لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة كما قال تعالى: {هَلْ يَنْظرُونَ إلاَّ أن تَأتِيَهُمْ المَلاَئِكَةُ أوْ يَأتِيَ رَبَّكَ أوْ يَأتي بَعْضُ آيَاتِ ربك يَوْمَ يَأتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبك لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْل} **158 الأنعام**. وقال تعالى: {فَلَّما رَأوْا بأسَنَا قَالُوا آمَنّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمَانُهُمْ لَمّا رَأوْا بَأسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلتْ فِي عِبَادِه وخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ} **84-85 غافر. وقد حكى البيهقي عن الحاكم أنه قال:** أول الآيات ظهوراً خروج الدجال، ثم نزول عيسى ابن مريم، ثم فتح يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، قال: لأنها إذا طلعت من مغربها آمن من عليها، فلو كان نزول عيسى بعدها لم يكن كافراً. **قال ابن كثير:** وهذا الذي قاله فيه نظر لأن إيمان أهل الأرض يومئذ لا ينفع جميعهم ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، فمن أحدث إيماناً أو توبة يومئذ لم تقبل حتى يكون مؤمناً أو تائباً قبل ذلك، وكذلك قوله تعالى في قصة نزول عيسى في آخر الزمان: {وإنْ مِنْ أهْلِ الْكِتَابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بِه قَبْلَ مَوْته}. أي: قبل موت عيسى وبعد نزوله يؤمن جميع أهل الكتاب به إيماناً ضرورياً بمعنى أنهم يتحققون أنه عبد الله ورسوله، فالنصراني يعلم كذب نفسه في دعواه فيه الربوبية والنبوة، واليهودي يعلم أنه نبي رسول من الله لا ولد ريبة كما كان المجرمون منهم يزعمون ذلك.

الآية السادسة: أرض المحشر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشام أرض المحشر والمنشر. وفي حديث آخرعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في بيت المقدس أفضل أو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط (أو قال قوس الرجل) حيث يرى منه بيت المقدس خير له (أو أحب إليه) من الدنيا جميعا. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** بيت المقدس أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره فمن لم يستطع فيهدي له زيتًا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه فصلى فيه.

إذاً فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عنه وصح أن بيت المقدس أو أرض الشام التي يقع فيها بيت المقدس أنها أرض المحشر والمنشر أي أنها المكان الذي يجتمع فيه كل البشر قبيل يوم القيامة وساعتها سينفخ اسرافيل في الصور ثم تقوم القيامة بأن يصعق كل سكان السماوات والأرض الأحياء ويموتون ثم أن أرض بيت المقدس وما حولها من أرض الشام سوف يبعث الله تعالى منها كل الناس وهذا هو المنشر عندما ينفخ الملك اسرافيل في الصور مرة أخرى بأمر ربه سبحانه وتعالى ومن هنا سوف يقع في أذهاننا بعض من أسئلة مشوقة منها: أولاً كيف ولماذا يجتمع الناس في هذا المكان من الأرض بالذات؟!

هناك إجابة لهذا السؤال وهي في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتكلم إلى الناس عن علامات الساعة وقيام القيامة فأخبرنا صلى الله عليه وسلم أنه ستكون في الأرض في هذا التوقيت نارًا عظيمة سوف يفر البشر منها وستطاردهم حتى يجتمعوا سوياً في هذا المكان فيحشرون فيه وتقوم الساعة ومنه كذلك ينشرون. فقد أخرج ابن ماجه في سننه وصحح الألباني الحديث عن أسيد بن أبي سريحة قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة؛ فقال: لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، وثلاث خسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا.

قال ابن كثيرفي النهاية: ثبت في الصحيحين من حديث وهيب، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحشر الناس على ثلاث طرائق؛ راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار؛ تقبل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث

أمسوا. أي أنهم يكونون على أصناف ثلاثة؛ فصنف طاعمين كاسين وراكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون تارة أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد كما تقدم في الصحيحين: اثنان على بعير، وثلاثة على بعير... إلى أن قال: وعشرة على بعير يعتقبونه من قلة الظهر. **قال السفاريني:** اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ هل هو يوم القيامة أو قبله؛ فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض: أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة. وأما الحشر من القبور؛ فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا؛ كما في الصحيحين وغيرهما:إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً. إلى أن قال: وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة: تقبل معهم وتبيت وتصبح وتمسى... يؤيد أن الحشر في الدنيا إلى الشام؛ لأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا. **قلت:** اذاً فهناك ناراً عظيمة ستخرج من إليمن وبالتحديد من قعر مدينة عدن الشهيرة وستطارد هذه النار كل الناس حتى تسوقهم إلى أرض محشرهم مدينة القدس وما حولها من أرض الشام ومن تخلف عنهم أكلته النار، ولقوله صلى الله عليه وسلم عن النار أنها تخرج من قعر عدن يفيد أن تلك النار قد تكون بركاناً عظيماً يخرج من تلك البقعة وينتشر في محيط كل الأرض يحرقها حتى لا يكون هناك مفر أمام الناس الهاربين من الموت إلا أرض بيت المقدس وما حولها من أرض الشام ليحتموا بها من تلك النار.

وقال السفاريني ذكر القرطبي في تذكرته: أن الحشر أربع: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة؛ فاللذان في الدنيا: المذكور في سورة الحشر، وهو اليهود إلى الشام؛ قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: اخرجوا. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر. ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب. والحشر الثاني: المذكور في أشراط الساعة، نار تحشر من المشرق إلى المغرب؛ كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهم مرفوعا: تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب؛ تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل.

وقال الحافظ ابن حجر: وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب؛ لأن ابتداء خروجها من عدن، فإذا خرجت؛ انتشرت في الأرض كلها. **قال القرطبي:** وأما اللذان في الآخرة؛ فحشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعا؛ قال تعالى:{وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً} **47 الكهف.** وحشرهم إلى الجنة والنار. وقال على قول الناظر: وآخِرُ الآياتِ حَشْرُ النَّارِ كَمَا أَتى فِي مُحْكَمِ الأَخْبارِ. **وقال:** وآخر الآيات العظام والعلامات الجسام: حشر النار للناس من المشرق إلى المغرب، ومن إليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام، وهو أرض الشام؛ كما ترى مصرحًا به في محكم الأخبار وصحيح الآثار.

والسؤال الثاني هنا يطرح نفسه ملحًا كل هذا مقبول في أرض العالم القديم الذي يضم قارات آسيا وأفريقيا وأوربا فما بال قارات العالم الجديد من الأمريكتين واستراليا وكثير من الجزر العامرة حول العالم؟ هناك احتمالين الأول والبديهي أن يفر الناس من تلك القارات والجزر كلهم بوسائل النقل المختلفة إلى أرض العالم القديم حتى ينتهي بهم المطاف في أرض المحشر، أو أن تلك الأراضي لن تكون هناك ويحتمل أن تفني أو تغرق بوسيلة طبيعية أو إنسانية من حروب نووية أو غيرها من وسائل الدمار الشامل التي يسعي الناس جاهدين في ابتكارها وتطويرها لتحقق أكبر قدر من الدمار والخراب.

وهناك أيضاً معلومة خاصة يجب ذكرها ألا وهي أن كل هؤلاء الناس الذين ستطاردهم النار إلى أرض المحشر لتقوم عليهم الساعة هم أشر الناس وأرذلهم وأكفرهم؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل عن الدجال: إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** لا تقوم الساعة إلا على أشر الناس.

الفصل الثاني

يوم القيامة

ها قد شارفت الدنيا على نهايتها وأجلها المسمى عند بارئها سبحانه وتعالى، وها قد حان الوقت المعلوم؛ وقت موت الأحياء ثم بعثهم من جديد لوقوفهم بين يدي الجبار لحسابهم؛ فمسيئهم في النار ومحسنهم في الجنة.

وكما قلنا في مقدمة هذا الكتاب أن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان وأحد الأمور المفطور عليها الإنسان؛ كما يدل على ذلك القرآن في كثير من الآيات حيث يذكر الإيمان به تارة مع الإيمان بالأركان الستة التي هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر؛ والقضاء خيره وشره كلًا من عند الله. كما في حديث عمر في سؤالات جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم. وتارة يذكر الإيمان مع الإيمان بالله؛ كما قال تعالى:{قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا باليوم الآخِر} **29 التوبة**، وقال تعالى: {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليوم الآخِرِ} **264 البقرة**. وهانحن الآن في القرن الحادي والعشرين عصر العلم الحديث، وكل علماء هذا العصر الحديث كافرهم قبل مؤمنهم كلهم أقروا دون نكير أن الكون كله له عمر زمني، وإن اختلفوا في تقدير هذا العمر الزمني ما بين قائل 14 بليون سنة أو أكثر أو أقل. وعلى أية حال فهم جميعهم متفقون بلا مخالف واحد عاقل على أن الكون كله له بداية، وماله بداية فهو مخلوق محدث؛ وكل محدث له بداية حتمًا له نهاية.

قال الشيخ العالم زغلول النجار في كتاب النبات: تؤكد الملاحظات العلمية في الجزء المدرك من الكون أن الحرارة تنتقل فيه باستمرار من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولو كان الكون أزلياً كما يدعي المبطلون لتساوت حرارة جميع الأجسام فيه وانتهي وجوده منذ زمن بعيد، واستمرار الكون في التواجد مع استمرار الانتقال الحراري ينفي أزليته، كما ينفي أبديته، ويؤكد أنه مخلوق مستحدث، له في الأصل بداية –يقدرها العلماء اليوم بحوالي أربعة عشر بليوناً من السنين- ولابد وأن سوف تكون له في يوم من الأيام نهاية لا يعملها إلا الله الخالق-سبحانه وتعالى- والسنن الحاكمة للكون اليوم تشير إلى حتمية وقوعها، ولا تحدد موعدها، ومن ذلك أن الشمس تفقد من كتلتها في كل ثانية على هيئة طاقة ما يعادل4.6 مليون طن ،وكما تفقد الشمس من كتلتها تفقد بقية النجوم، فهذا الكون الذي تتواجد فيه حتماً إلى زوال في لحظة يحددها الخالق- جلت قدرته- الذي أنزل لنا في محكم كتابه قوله الحق:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ

إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} **187 الأعراف.**

وقد سمى الله هذا اليوم بعدة أسماء؛ تنويهًا بشأنه، وتنبيها للعباد؛ ليخافوا منه: فسماه اليوم الآخر؛ لأنه بعد الدنيا، وليس بعده يوم غيره. وسماه يوم القيامة؛ لقيام الناس فيه لربهم. وسماه الواقعة والحاقة والقارعة والراجفة والصاخة والآزفة والفزع الأكبر ويوم الحساب ويوم الدين والوعد الحق.. وكلها أسماء تدل على عظم شأن هذا اليوم، وشدة هوله، وما يلقاه الناس فيه من الشدائد والأهوال؛ فهو يوم تشخص فيه الأبصار، وتطير القلوب عن أماكنها، حتى تبلغ الحناجر.

وقد توقفنا في الفصل الأول عند أرض المحشر وما بقي من الناس يومئذ هم أشد الناس كفرًا وطغيانًا وشرًا ولهذا فإن هؤلاء القوم لهم عذابان أحدهما في الدنيا بأن يشاهدوا زوال العالم وقيام القيامة وما فيها مما يشيب له الولدان وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. وعذاب في الآخرة عند الموقف ونهاية مظلمة سوداء في نار جهنم والعياذ بالله.

وقد جاء في السنة النبوية: من سره أن يري يوم القيامة رأي عين فليقرأ: (إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت). ويقرأ (إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت). وأن يقرأ (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) ونحن من الذين يسرهم أن يرى يوم القيامة رأي العين فتعالى أيها القارئ الكريم لنقرأ ونتدبر معاً ما أشار به علينا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ونتفهم معانيه؟

سورة التكوير:

قال تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ. وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ. وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ. وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ. وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ. وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ} **1-14 التكوير.** يخبرنا سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن في مقدمة يوم القيامة والبعث سيختل ميزان الكون، وعندها ستتخبط المنظومة الكونية في بعضها البعض، ويبدأ الله تعالى في هذه السورة الكريمة بالشمس إذ هي أكبر آية كونية بالنسبة إلى الأرض فيقول الحق: إذا الشمس لُفَّت وذهب ضَوْءُها, وإذا النجوم تناثرت, فذهب نورها. وهذا بالنسبة إلى الآيات السماوية التي نشاهدها كل يوم وليلة أي الشمس التي تشرق كل يوم وتغيب، وإلى النجوم اللامعة في كبد الليل، فإذا ما اندثرت تلك الشمس وهذه النجوم فلن تكون هناك جاذبية كونية

تحفظ استقرار الأشياء وخصوصاً فوق سطح هذه الأرض لذا سترى أن الجبال ستسير، وهذا لأن الجاذبية عندما ستنعدم ستخلع من الأرض كل شيء ثقيل يرتكز فوقها ومن أعظم تلك الأشياء هي الجبال التي يستقر بها سطح الكرة الأرضية فيختل ميزان الثقل الأرضي، فيضطرب كل شيء على وجه الأرض. وإذا(العشار) أي النوق الحوامل تُركت وأهملت، وإذا الحيوانات الوحشية بعثت وجُمعت واختلطت فهو محشورة معنا نحن البشر؛ ليقتصَّ الله من بعضها لبعض، ونحن لا نعلم لماذا سيبعث الله تعالى تلك الحيوانات يوم القيامة إلا ليقتص الله تعالى من تعدي بعضها على بعض، **أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها.

وهذا من قمة العدل حيث يأخذ كل صاحب حق حقه حتى الشاة الجلحاء أي التي لا قرون لها سيقتص الله لها من الشاة القرناء التي نطحتها في حياتها الدنيا.

وبعد انطفاء الشمس والنجوم وانعدام الجاذبية وتسيير الجبال وبعث الحيوانات وحشرها مع الإنس يوم المحشر، ستستمر المنظومة الكونية في التدمير الذاتي حيث ستتفجر البراكين في قيعان البحار والمحيطات، فيقول تعالى: وإذا البحار أوقدت، فصارت على عِظَمها نارًا تتوقد. وإذا النفوس أي الأرواح زوجت بأجسادها، وإذا الطفلة المدفونة حية أي المؤودة بعثت وسئلت يوم القيامة سؤالَ تطييب لها وتبكيت لوائدها: بأيِّ ذنب كان دفنها؟ وإذا صحف الأعمال نشرت فعُرضت، وإذا السماء قُلعت وأزيلت من مكانها, وإذا النار أي جهنم أوقدت فأضرِمت استعداداً لاستقبال المجرمين من بني البشر، وإذا الجنة دار النعيم قُرِّبت من أهلها المتقين، إذا وقع ذلك, تيقنتْ ووجدتْ كلُّ نفس ما قدَّمت من خير أو شر. إذا وقع هذا أيقنت كل نفس أن وعد الله تعالى بالبعث وإقامة الأموات من قبورهم حق ليس بعده حق.

سورة الانفطار:

قال تعالى: {إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ. وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} **1-5 الانفطار**.

وهذه صورة أخرى لصور اختلال المنظومة الكونية فيقول الحق: إذا السماء انشقت واختلَّ نظامها، وإذا الكواكب تساقطت, وإذا البحار فجَّر الله ما في قيعانها من براكين ونار تذهب بماؤها، وإذا القبور قُلِبت ببعث مَن كان فيها؛ حينئذ تعلم كلُّ نفس جميع أعمالها؛ ما تقدَّم منها وما تأخر، وجوزيت بها.

سورة الانشقاق:

قال تعالى: {إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً. وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ. فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً. وَيَصْلَى سَعِيراً. إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً. إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ. بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرا} **1-15 الانشقاق.**

وهذه صورة أخرى لإختلال المنظومة الكونية التي نراها الآن أمام أعيننا مستقرة ومتزنة فإذا السماء تصدَّعت وتفطَّرت بالغمام يوم القيامة، وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به من الإنشقاق، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره. وإذا الأرض بُسطت وَوُسِّعت، ودكت جبالها في ذلك اليوم، وقذفت ما في بطنها من الأموات،كل الأموات من إنس وحيوان وطير, وتخلَّتْ عنهم، وانقادت لربها فيما أمرها به، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره. وبعد تخيل النفس لتلك الصورة الختامية للحياة الأرضية والكونية يذكرنا ربنا بحقيقة وجودنا الأرضي المؤقت فيقول: يا أيها الإنسان إنك ساعٍ إلى الله، وعامل أعمالًا من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة, فيجازيك بعملك بفضله أو عدله. فأما من أعطي صحيفة أعماله بيمينه، وهو مؤمن بربه؛ فسوف يحاسب حسابًا سهلًا ويرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا. وأمَّا مَن أُعطي صحيفة أعماله من وراء ظهره؛ وهو الكافر بالله فسوف يدعو بالهلاك والثبور، فسوف يدعو بالهلاك والثبور، إنه كان في أهله في الدنيا مسرورًا مغرورًا، لا يفكر في العواقب؛ إنه ظنَّ أن لن يرجع إلى خالقه حيا للحساب. بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله/ إن ربه كان به بصيرًا عليمًا بحاله من يوم خلقه إلى أن بعثه.

وتعالوا معي عباد الله نرى معًا تلك الرحلة العظيمة اللانهائية لجميع البشرية من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى آخر مولود بشري فوق هذه الأرض وبالطبع معهم الجان شركائنا في هذه الحياة الأرضية. تلك الرحلة والتي ستبدأ لا أقول ستنتهي إما بحياة سرمدية منعمة في الجنة، وإما حياة سرمدية جهنمية معذبة في جهنم.

أولًا: النفخ في الصور

قلنا أن الناس مجتمعة الآن في أرض الشام أو أرض المحشر كما سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبإكتمال عددهم سيأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام بأن ينفخ في الصور ثلاث نفخات: الأولى نفخة الصعق والفزع. والثانية نفخة الصعق والموت،. والثالثة نفخة البعث وقيام الأموات. قال تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} **68 الزمر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه:** والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات: نفخة الفزع: ذكرها في سورة النمل، في قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} **87 النمل.** ونفخة الصعق والقيام: ذكرهما في سورة الزمر في قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} **68 الزمر**، وأما الاستثناء؛ فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين؛ فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله؛ فإن الله أطلق في كتابه. وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى آخذًا بساق العرش؛ فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان مما استثناه الله؟

وهذه الصعقة؛ قيل: إنها رابعة، وقيل: إنها من المذكورات في القرآن.

وقال السفاريني: واعلم أن النفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، وهي التي بها هذا العالم، ويفسد نظامه، وهي المشار إليها في قوله تعالى: {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} **15 ص؛ أي:** من رجوع ومرد، وقوله :{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} **87 النمل**؛ فسر الزمخشري في كشافه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة، وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وقيل غير ذلك، وإنما يحصل الفزع بشدة ما يقع من هول تلك النفخة. **إلى أن قال:** النفخة الثانية: نفخة الصعق، وفيها هلاك كل شيء، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ} **68 الزمر**، وقد فسر الصعق بالموت. **ثم قال:** النفخة الثالثة: نفخة البعث والنشور، وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها، وأخبار تشير إليها؛ كقوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} **51 يس**، وقوله:{ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} **68 الزمر**، وقوله تعالى:{وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ} **41-42 ق.**

قال المفسرون: المنادي هو إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور؛ **قال الوليد بن مسلم عن قتادة**، في قوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ ينَادي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيب} **41 ق. قال:** يقوم ملك على

صخرة بيت المقدس، ينادي: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء. **وقيل:** ينفخ إسرافيل، وينادي جبريل، والمكان القريب صخرة بيت المقدس. **قال جماعة من المفسرين:** وبين النفختين أربعون عامًا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بين النفختين (نفخة الإماتة ونفخة البعث) أربعون. قيل: أربعون يوما؟ قال أبو هريرة: أبيت (أي امتنعت أن أقول بغير علم) قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت. ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة.

قال ابن كثير في النهاية: والمقصود هنا ذكر النفختين، وأن بينهما إما أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة، وهاتان النفختان هما والله أعلم، نفخة، الصعق، ونفخة القيام للبعث والنشور، بدليل إنزال الماء بينهما.. **قال بعض العلماء:** اتفقت الروايات على ذلك.

ثانياً: البعث والنشور

يوم القيامة سيكون يوم جمعة:

يوم القيامة لا يعلم أحد دون الله تعالى موعده، إلا إننا نعلم علم اليقين أن يوم القيامة سيقع يوم جمعة؛ فقد **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مسيخة (يقال: ساخت أقدامه في الأرض إذا غاصت) يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا (خوفًا) من الساعة إلا الجن والإنس.. الحديث.

كل الجسد يبلى عدا عجب الذنب:

لمسلم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا فيه يركب الخلق يوم القيامة. قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب. ورواه مالك وأبو داود والنسائي وصححه الألباني باختصار قال: كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب.

عجب الذنب: أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص بين الإليتين. **قال العلماء:** وعجب الذنب هو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب، وقد جاء في الحديث أنه مثل حبة الخردل، منه ينبت جسم الإنسان. وطبيا عظمة عجب الذنب كبقية خلايا جسم

الانسان تحمل الشريط الوراثي للإنسان DNA التي تحمل كافة صفات الإنسان.. **قال ابن كثير في النهاية:** وذكر عجب الذنب الذي منه يخلق الإِنسان ومنه يركب عند بعثه يوم القيامة..

كيف يحشر الناس؟

خرج ابن ماجه في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: حفاة عراة. قلت: والنساء؟! قال: والنساء. قلت: يا رسول الله فما يستحيي. قال: يا عائشة الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض.

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا (غير مختنين). قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض. وقال تعالى: {كَمَا بَدَأنَا أَوَّلَ خَلْق نُعيده} **104 الأنبياء**.

أرض الميعاد:

يبدل الله الأرض غير الأرض فيبسطها ويسطحها ويمدها؛ قال تعالى: {لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أمتا} **107 طه**. ثم يزجر الله الخلائق زجرة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة وقد قال الله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَلُ الأرضُ غَيْرَ الأرْض وَالسَموَاتُ وَ بَرزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار} **48 إبراهيم**. وتبدل معالم الأرض فيما بين النفختين، نفخة الصعق، ونفخة البعث، فتسير الجبال، وتميد الأرض، ويبقى الجميع صعيدًا واحدًا، لا اعوجاج فيها ولا روابي ولا أودية قال الله تعالى: {وَيَسْألُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبي نَسْفاً فَيذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أمتاً} **105-107 طه**. أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع.

أول من يبعث يوم القيامة محمد صلى الله عليه وسلم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع.

أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم خليل الله عليه السلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة، عراة غرْلاً: {كما بَدَأنا أوّل خَلْق نُعِيدُهُ، وَعْداً علينا إنَّا كنَا فاعلين} **104 الأنبياء**. ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيجيا ناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فلأقولن: أصحابي. وليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فلأقولن كما قال العبد الصالح: {وَكُنْتُ عليهمْ شَهِيداً مَادمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيب عليهمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْء شَهيدٌ إنْ تُعَذِّبهم فَإنَّهُمْ

عِبَادكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيز الحَكِيمُ} 117المائدة. فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم. **قال القرطبي: وروى ابن مبارك عن على، قال:** أول من يكسى الخليل قبطيتين، ثم محمد عليه السلام حلة، عن يمين العرش. ثم شرع القرطبي يذكر المناسبة في تقديم إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذلك؛ فقال: من ذلك أنه أول من لبس السراويل مبالغة في التستر، أو أنه جرد يوم ألقي في النار فالله أعلم. **وعن قتادة قال:** لا يغيرعن أهل القبور عذاب القبر إلا فيما بين نفخة الصعق ونفخة البعث. فلذلك يقول الكافر حين يبعث: {يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} يعني تلك الفترة؛ فيقول له المؤمن: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}. **وقال الوليد بن مسلم:** أن شيخاً من شيوخ الجاهلية القساة؛ قال: يا محمد: ثلاث بلغني، أنك تقولهن لا ينبغي لذي عقل أن يصدقك فيهن، بلغني أنك تقول: إن العرب تاركة ما كانتَ تعبد هي وآباؤها، وأنّا نظهر على كنوز كسرى وقيصر، ولنموتن ولنبعثن؟ فقال له الرسول عليه السلام: ثم لآخذن بيدك يوم القيامة، فلأذكرنك مقالتك هذه. قال: ولا تضلني في الموتى ولا تنساني؟ قال: ولا أضلك في الموتى ولا أنساك. قال: فبقي الشيخ حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى ظهور المسلمين على كسرى وقيصر، فأسلم وحسن إسلامه، وكان كثيراً ما يسمع عمر بن الخطاب يحييه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لإعظامه ما كان واجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر يأتيه ويقول: قد أسلمت ووعدك رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يأخذ بيدك، ولا يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أحد إلا أفلح وسعد إن شاء الله.

وعن أبي جعفر الباقر قال: كان يقال: عجبًا لمن يكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى يا عجبًا كل العجب لمن يكذب بالنشر بعد الموت، وهو ينشر في كل يوم وليلة.

ويوم القيامة هو يوم طويل عظيم مقداره خمسين ألف سنة مما نعد ونحصى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.. الحديث.

وبالطبع لنا أن نتخيل كيف هو حال الناس في هذا الموقف العظيم العصيب حيث لا ماء ولا طعام والهول شديد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعًا وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم. وقال صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو

اثنين فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم؛ فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا.

وقال ابن المبارك عن عبيد الله بن العرار، قال: إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل (السهم) في القرن، والسعيد الذي يجد لقدميه موضعاً يضعهما، وإن الشمس لتدني من رؤوسهم حتى يكون بينها وبين رؤوسهم إما قال: ميل أو ميلان، ويزاد في حرها تسعة وتسعين ضعفا. **وقال الوليد بن مسلم: عن أبي بكر بن سعيد عن مغيث بن سمي، قال:** تركد الشمس فوق رؤوسهم على أذرع وتفتح أبواب جهنم فتهب عليهم رياحها وسمومها، وتجري عليهم نفحاتها حتى تجري الأنهار من عرقهم أنتن من الجيف، والصائمون في خيامهم في ظل العرش. وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -وفي رواية إلا ظل عرشه- إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال؛ فقال: إني أخاف الله، واثنان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك، وتفرقا على ذلك، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبا واعظ الزاهد يقول: يخرجون من قبورهم فيبقون في الظلمات ألف عام، والأرض يومئذ دكاء (مستوية)، إن أسعد الناس يومئذ من وجد لقدميه موضعًا.

وقال عن النضر بن عربي، قال: بلغني أن الناس إذا خرجوا من قبورهم، كان شعارهم لا إله إلا الله، وكانت أول كلمة يقولها برهم وفاجرهم: ربنا ارحمنا.

أما المتكبرون فلهم بعث مخصوص؛ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر -النمل- في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال.

ولا بد أن نذكر ههنا أن المؤمنين آمنين في هذا اليوم، قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عليهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} **112 البقرة**. وقال تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} **89 النمل**. وعن عبد الله ابن المبارك: عن أبي هريرة قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر إلى العصر. وهذا يدل على خفة يوم القيامة على المؤمنين.

وروى ابن كثير في النهاية عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: سمعت الشامي يقول: يخرجون من قبورهم وكلهم مذعورون فينادي مناد: {يَا عِبَادِي لاَ خَوْفٌ عليكُمُ اليوم وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} فيطمع فيها الخلق، فيتبعها: {الَّذِينَ آمَنُوا بآياتنا وَكَانُوا مُسلِمِينَ}. فييأس منها الخلق غير الإسلام.

ثالثاً: العرض والحساب

قال الله تعالى: {وَيَوْمَ نسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرى الأَرْضَ بَارزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادرْ مِنْهُمْ أحَداً وَعُرِضُوا عَلَى رَبك صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكمْ أَوَلَ مَرَّة بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكمْ مَوْعِداً وَوُضِعَ الكِتَاب فَتَرَى المُجْرِمينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لاَ يُغادرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أحْصَاهَا وَوَجَدوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَدا} 47- 49 الكهف. **قال ابن كثير في النهاية:** فإذا نصب كرسي فصل القضاء إنماز الكافرون عن المؤمنين في الموقف إلى ناحية الشمال، وبقي المؤمنون عن يمين العرش، ومنهم من يكون بين يديه، فالخلق قيام لرب العالمين، بين يديه، والعرق غمر أكثرهم، وبلغ منهم كل مبلغ، والناس فيه بحسب الأعمال كما تقدم في الأحاديث، خاضعين، صامتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه تعالى، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، والأنبياء حول أممهم، وكتاب الأعمال قد اشتمل على أعمال الأولين والآخرين، موضوع لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ذلك ما كانت تعمل الخلائق، وتكتبه عليهم الحفظة في قديم الدهر وحديثه، وقال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ في عُنُقِهِ وَنخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشوراً اقْرَأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليوم عليك حَسِيباً}. 13- 14 الإسراء. **قال الحسن البصري:** لقد أنصفك يا ابن آدم من جعلك حسيب نفسك، والميزان منصوب لوزن أعمال الخير والشر فيه كما تقدم، والصراط قد مد على متن جهنم، والملائكة محدقون ببني آدم والجن، وقد برزت الجحيم، وأزلفت دار النعيم، وتجلى الرب تعالى لفصل القضاء بين عباده، وأشرقت الأرض بنور ربها، وقرئت الصحف، وشهدت على بني آدم الملائكة بما فعلوا، والأرض بما وقع على ظهرها، فمن اعترف منهم وإلاّ ختم على فيهِ، ونطقت جوارحه بما عمل بها في أوقات عمله من ليل.

الحيوانات هي أول ما يقضى بينها يوم القيامة:

أول ما يقضي الله تعالى بينهم من المخلوقات الحيوانات غير الثقلان -الإنس والجن-، والدليل على حشر بقية الحيوانات يوم القيامة قوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأرض وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرِ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا في الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثمَّ إِلَى رَبِهِمْ يُحْشَرُونَ} 38 الأنعام.

وقال تعالى: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} **5 التكوير. قال عبد الله ابن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن** رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الجماء لتقص من القرناء يوم القيامة. **وقال الإمام أحمد عن أبي هريرة قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقتص للشاة الجماء، من الشاة القرناء بنطحها. وقال صلى الله عليه وسلم في الصحيح: يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة. والذرة هي النملة؛ **وأصله في الصحيح بلفظ:** لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. أخرجه مسلم. **وفي لفظ لأحمد:** حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها. وإسناده صحيح وله طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا. واسناده حسن لغيره. **وقال صلى الله عليه وسلم:** فيقضي الله بين خلقه، إلا الثقلين الإنس والجن، فيقضي بين الوحوش والبهائم، حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن، حتى إذا فرغ من ذلك، فلم يبق لواحدة عند أخرى حق، قال الله لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. **وقد قال ابن أبي الدنيا عن أبا عمران الجوني يقول:** إن البهائم إذا رأت بني آدم يوم القيامة وقد تصدعوا من بين يدي الله صنفاً إلى الجنة، وصنفاً إلى النار، نادت: الحمد لله يا بني آدم الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم، فلا جنة مرجوة، ولا عقاب يخاف.

وذكر القرطبي عن أبي القاسم القشيري في شرح الأسماء الحسنى عند قوله المقسط الجامع قال: وفي خبر: أن الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة، فتسجد لله سجدة، فتقول الملائكة: ليس هذا يوم سجود، هذا يوم الثواب والعقاب، فتقول للبهائم أن الله لم يحشركم لثواب ولا لعقاب وإنما حشركم تشهدون فضائح بني آدم. **وحكى القرطبي:** أنها إذا حشرت وحوسبت تعود تراباً ثم يحثى بها في وجوه فجرة بني آدم قال وذلك قوله: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عليها غَبَرَةٌ} **40 عبس.**

أمة محمد هي أول الأمم حسابًا يوم القيامة:

أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي أول أمة تقدم للحساب والقضاء لشرف نبيها، كما أنهم أول من يجوز على الصراط، وأول من يدخل الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة. وفي رواية: المقضي لهم قبل الخلائق. **الحديث رواه مسلم في صحيحه ونصه:** أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا. فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد. فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة؛ فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة.. إلى آخره من طريق حذيفة بن اليمان. وقال ابن ماجه عن ابن عباس أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون. والله سبحانه وتعالى أعلم.

أول ما يقضي الله تعالى فيه بين عباده هو الدماء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة الدماء. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا؛ فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش. ثم يقتص تعالى منه لكل من قتله ظلمًا، ثم يبقى في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه. وهذا دليل على أن القاتل لا يتعين عذابه في نار جهنم، كما ينقل عن ابن عباس وغيره من السلف، حتى نقل بعضهم: إن القاتل لا توبة له، وهذا إذا حمل على أن القتل من حقوق الآدميين، وهي لا تسقط بالتوبة صحيح، وإن حمل على أنه لا بد من عقابه فليس بلازم، بدليل حديث الذي قتل تسعة وتسعين، ثم أكمل المائة، ثم سأل عالمًا من بني إسرائيل: هل له من توبة. فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ إيت بلد كذا وكذا فإنه يعبد الله فيها، فلما توجه نحوها، وتوسط بينها وبين التي خرج منها، أدركه الموت فمات، فتوفته ملائكة الرحمة الحديث بطوله.. **وفي سورة الفرقان نص على قبول توبة القاتل، قال تعالى:** {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ له الْعَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إلا مَنْ تَابَ} **68 الفرقان**.

خمس لا تزول قدما العبد عن أرض المحشر يوم القيامة حتى يسأل عنها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:** وليقفن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب يحجبه، ولا ترجمان يترجم له، فيقول: ألم أوتك مالًا؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أرسل إليك رسولًا؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن يساره فلا يرى إلا النار، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه، ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، فيقول له: أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أن قد هلك، قال الله تعالى: فإني سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكفار والمتملقون فيقول الأشهاد: {هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الظَّالِمِينَ}. **وعن أبي هريرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال:** هل ترون القمر ليلة البدر؟ قلنا: نعم. قال: فهل ترون الشمس في يوم مصحية؟ قالوا: نعم. قال: فإنكم سترون ربكم كما ترونهما لا تضارون في رؤيته، يقول الله تبارك وتعالى: أي فلان -للرجل من أهل الجاهلية- ألم أكرمك؟ ألم أريسك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل؟ ألم أذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب. قال: فيقول: فهل ظننت أنك ملاقي؟ قال: فيقول: لا والله يارب. قال: فيقول: إني أنساك كما نسيتني. قال: ثم يؤتى برجل فيقول الله كما قال للأول ويقول مثل ما قال الأول، قال: فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. قال: ثم يؤتى بالثالث فيقول كما قال للأول والثاني فيقول: أي رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وتصدقت وصليت. فلا يدع أن يأتي بما استطاع؛ فيقول الله تبارك وتعالى: فها هنا إذًا. فيقول الله: أفلا نبعث شاهدًا عليك. فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد على فيختم الله على فيه وينطق فخذه ويشهد عليه عظامه ولحمه بما كان يعمل وذلك ليعذر من نفسه. قال: وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. قال: فيقوم مناد فينادي ألا يتبع كل أمة ما كانت تعبد.. فيتبع أصحاب الشياطين الشياطين وأصحاب الأصنام الأصنام ومن كان يعبد شيئا اتبعه حتى يوردوهم جهنم.. الحديث.

وروى مسلم في الصحيح عن أنس رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك؛ فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ يقول: بلى. فيقول: إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهدًا إلا مني. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكاتبين شهودا. قال: فيختم على فيه، ويقول لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام. فيقول: بعدًا لكن وسحقًا فعنكن كنت أناضل.

أول خلق تسعربهم النار:

قال صلى الله عليه وسلم: إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية. فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال. فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت بما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله؛ فيقول الله: في ماذا قتلت؟

فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك. ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة. وقوله صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار. يراد به صنف أولئك الثلاثة كلهم لا هؤلاء الثلاثة فقط.

أول ما يحاسب عنه المرء يوم القيامة الصلاة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة؛ قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك.

ولتسألن عن النعيم:

قال تعالى: {ثمَّ لَتُسْأَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَن النَّعِيم} 8 التكاثر. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم؛ أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد.

وفي الصحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أكل هو وأصحابه في حديقة أبي الهيثم بن المنهال من تلك الشاة التي ذبحت له، وأكلوا من الرطب، وشربوا من ذلك الماء، قال: هذا من النعيم الذي تسألون عنه.

الاقتصاص من الظالمين يوم القيامة:

عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الله العباد يوم القيامة -أو قال الناس- عراة غرلًا بهما. قال: قلنا: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الديان أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة..

ومنه حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. **وقال ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن الزبير:** قال لما نزلت: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ ميتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمونَ} **30 الزمر.** قال الزبير: يا رسول الله أيكرر علينا ما يكون بيننا في الدنيا من خواص الذنوب؟ قال: نعم، ليكررن عليكم، حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه، فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد.

رابعًا: الشفاعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته فاستجيب له وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الشفاعة هي لكل أمة محمد إلا من أشرك؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئًا.

وقد اختلف الناس في الشفاعة؛ فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبعهم.. **قال ابن كثير في النهاية:** وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك، واستمر على بدعته.

قلت: وكذلك أنكرها الكثير من الفقهاء والمفكرين المحدثين؛ قالوا: لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها. وقالوا: الشفاعة في معني الوساطة والأخيرة كما هي مرفوضة في الدنيا هي مرفوضة في الآخرة. وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة.

واحتج المانعون بقول الله عزوجل: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} **48 المدثر**، وبقوله عز وجل: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّه} **19 الانفطار**، وبقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً} **21 الجن**، وبقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ} **48 البقرة**. وبقوله تعالى: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ} **254 البقرة**.

وممن أنكر الشفاعة من المفكرين المحدثين الأستاذ الدكتور مصطفى محمود رحمه الله إذ يعتبر وهو وغيره من مقدمي العقل على النقل أن الشفاعة معناها كما قلنا الوساطة وإستخدام المحسوبية في نيل ما لا يحق للمتشفع **يقول مصطفى محمود في كتابه الشفاعة:** إن ما صنعه البخاري بإخراجه مذنبي المسلمين من النار بشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام كما روي في أحاديثه لم تأت بالمسلم الأفضل بل جاءت بالمسلم الأضعف المتواكل الذي يحلم بدخول الجنة بلا عمل. **وقال:** والشفاعة فيها فتنة لأنها تزين للعبد مصلحة ومن هنا يحلو للشيطان أن يستدرجنا من خلالها لنفعل ما نشاء من موبقات وخطايا ولا نشغل أنفسنا بتوبة فصاحب المقام المحمود سوف يخرجنا في النهاية من النار بإشارة من يده. **وقال:** ألم يبادر النبي فينادي على أهل بيته: يا خديجة إني لن أغني عنك من الله شيئا. يا فاطمة إني لن أغني عنك من الله شيئا. يا فلان يا فلان .. ولم يدع أحدا من أهل بيته إلا أبلغه. وهذا كلام السيرة وكلام كتاب السيرة أنفسهم أن النبي قد أخلى مسئوليته وتبرأ من الوساطة لأحد حتى لأعز الناس.. حتى لابنته الغالية ومهجة قلبه فاطمة.. فكيف جعلوا بعد ذلك من النبي وسيطًا يتشفع عند الله ليخرج من

النار بعض من دخلها من أمته.. فيخرجهم ربنا من النار وقد امتحشوا من أثر جهنم أي تفحموا. وكيف يقبل هذا الكلام ويوضع في كفة واحدة مع كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكيف نقلب موازين العدالة في ذلك اليوم الذي تشيب لهوله الولدان ونحولها إلى وساطات وشفاعات وتزكيات ونجعل من أنفسنا صفوة الأمم وخيرها على الإطلاق.
وقال: ونعود فنسأل ولماذا لم يتب هذا المذنب وكانت فرصة التوبة ممتدة أمامه طوال عمره وأي عدالة الآن في أن يستقدم رسوله ليجد له مخرجا من إثمه وكان المخرج أمامه طول الوقت. ورسولنا العظيم أول من يعلم بمقام الهيبة الإلهية.. وبعظمة الجناب الإلهي.. هيهات.. إنما هي شعرة يتمسك بأهدابها المذنبون والمجرمون وأحلام يتعلق بها كل من قعدت به همته عن الطاعة.

ويرد على هؤلاء:

أولًا: أن البخاري لم يأتي بالشفاعة من كيسه كما قال الدكتور مصطفى محمود؛ بل من كتاب الله وبما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: بأنه لا يجوز الإقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا على بعض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه عز وجل: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهم} وقد نص الله على صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالى: {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدا} 87 مريم. فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهداً بالشفاعة. وصحت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها؛ قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا} 109 طه. وقال تعالى : {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَه} 23 سبأ. فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام. وقال تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِه} 255 البقرة. وكم من ملوك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وقال تعالى:{مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِه} 3 يونس. **قال ابن حزم في الفصل:** قد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل. وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عليهمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا} نعوذ بالله منها فإذ لا شك فيه فقد صح يقيناً

أن الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام وهكذا جاء الخبر الثابت.

والشفاعة شفاعتان: وهما شفاعتان إحداهما الموقف، وهو المقام المحمود الذي جاء النص في القرآن به في قوله: {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودا}. وهكذا جاء الخبر الثابت نصاً، والشفاعة الثانية في إخراج أهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر. وأما قول الله تعالى: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئا}، وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَدا}. فما خالفناهم في هذا أصلاً وليس هذا من الشفاعة في شيء؛ فنعم لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً ولا رشداً ولا هدى وإنما الشفاعة رغبة إلى الله تعالى وضراعة ودعاء.

وقال بعض منكري الشفاعة: أن الشفاعة ليست إلا في المحسنين فقط واحتجوا بقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} **28 الأنبياء**. وهذا لا حجة لهم فيه لأن من أذن الله في إخراجه من النار وأدخله الجنة وأذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه وهذا حق وفضل الله تعالى على من قد غفر له ذنوب بأن رجحت حسناته على كبائره، أو بأن لم تكن له كبيرة أو بأن تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به إلى الجنة ففيما إذاً يشفع له، وإنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فأدخل النار ولم يأذن تعالى بإخراجه منها إلا بالشفاعة وكذلك الخلق في كونهم في الموقف هم أيضاً في مقام شنيع فهم أيضاً محتاجون إلى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق وبما صحت الأخبار من ذلك نقول.

التوقف في أمر الشفاعة الكبرى

الشفاعة الكبرى هي شفاعة الرسول محمد صلوات ربي وسلامه عليه لكل المخلوقات عند ربهم ليقيم عليهم الحساب إذا ما جمع الخلائق كلهم في صعيد واحد، وضاقت بهم أرض المحشر، وضاق بهم المقام الصامت الكئيب هذا فيثور الخلق يريدون إقامة الحساب عليهم فيذهبون إلى الأنبياء من لدن آدم إلى آخرهم محمد صلوات ربي وسلامه عليهم ليشفعوا لهم عند ربهم سبحانه وتعالى ليقيم عليهم الحساب ويضرب لهم مجلس القضاء الأخير، فيعتذر النبي تلو النبي عن الشفاعة حتى يصلوا إلى صاحب الشفاعة العظمى، أو كما جاء في الحديث حيث يقول **رسول الله صلى الله عليه وسلم:** أنا سيد الناس يوم القيامة؛وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والأخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون؛ فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟! فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم. فيأتون آدم فيقولون:

يا آدم أنت أبونا أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؛ ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري؛ اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحا فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله:{عبدا شكورا} اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؛ ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بهن على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري؛ اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؛ ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؛ ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي؛ اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؛ ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد. فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؛ ألا ترى ما قد بلغنا؟! فأنطلق، فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعط، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي.. فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى.

والمتتبع لأحاديث الشفاعة كلها سيجد أن هذا الحديث يثير العجب والدهشة إذ أن مغزى الحديث يدور حول الشفاعة الكبرى لكل الناس، ولكن في نهاية الحديث سيجد أنه يدور حول أمة محمد فقط. **قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية:** والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في أن يأتي

الـرب سـبحانه وتعـالى لفصـل القضـاء، كمـا ورد هـذا في حـديث الصـور، فإنـه المقصـود في ذلـك المقام، ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشـفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى المحز إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار. وكأن مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث.

قلت: حقاً هذا أمر عجيب وللحديث كما قال الإمام أبي العز له طرق كثير كلها يصيبها نفس علامة التعجب، مما يدفع المطالع إلى إنكار تلك الشفاعة الكبرى، لعدم ورود حديث صحيح صريح في هذا الشأن، لذا نختار التوقف في مسألة الشفاعة الكبرى، أما الشفاعة الثانية والتي هي في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وخصوصاً أصحاب الكبائر فهي من ثابتة لورود النصوص الصريحة والصحيحة الكثيرة في هذا الشأن **كقوله صلى الله عليه وسلم في نهاية الحديث:** فيأتون عيسى فيقول لهم لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا لربي تبارك وتعالى فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا لربي تبارك وتعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي تبارك وتعالى وقعت ساجدا لربي فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فإذا رفعت رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة.

رابعًا: الحوض

يوم القيامة يوم مقداره خمسون ألف سنة مما نعد نحن البشر ونحصي، فياله من يوم طويل! لا ندري كيف سيمر ذلك اليوم الجد طويل على الناس! وبالتأكيد سيظمأ الناس وسيكونون في أشد الحاجة إلى الطعام والماء، ورسولنا صلى الله عليه وسلم له في هذا اليوم حوض مخصوص.

قال ابن حزم: وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن ورد عليه من أمته ولا ندري لمن أنكره متعلقاً ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق.

قلت: والأحاديث الواردة في ذكر الحوض كثيرة وتبلغ حد التواتر، منها قوله **صلى الله عليه وسلم:** إني فرطكم على الحوض، من مر بي شرب؛ ومن شرب لم يظمأ أبداً.. **والفرط:** هو الذي يسبق إلى الماء. والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة هذا الحوض أنه حوض عظيم ماءه أشد بياضاً من الثلج وأحلي من العسل باللبن، وأطيب ريحاً من المسك، وآنيته أو أكوابه أكثر من عدد النجوم، قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه. قالوا: أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيمًا ليست لأحد من الأمم تردون على غرًا محجلين من أثر الوضوء.

والغر: جمع أغر وهو من به غرة والغرة بياض في الجبهة والمراد أن المؤمنين تشرق جباهم يوم القيامة بنور الإيمان فيكون هذا النور غرة لهم تميزهم وبها يعرفون. **المحجلون:** الذين تضيء منهم مواضع الوضوء في أقدامهم فيبدو الضوء فيها كتحجيل الفرس وهو بياض في قوائمها والمعنى أن المؤمنين يوم القيامة يمتازون بغررهم ونور وجوههم وبتحجيلهم المشرق في موضع ماء الوضوء من أقدامهم.

والحوض هو الكوثر الذي أعطي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه كرامة له، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** أنزلت على آنفا سورة: بسم الله الرحمن الرحيم: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. أتدرون ما الكوثر؟ فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته كعدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك.

والحوض قبل الميزان، قال القرطبي في التذكرة: اختلف الناس في الميزان والحوض، أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل الميزان قبل، وقيل الحوض، قال الحسن القابسي، والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعني يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيقدم قبل الميزان

والصراط. **وقال ابن كثير في النهاية:** إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال صلى الله عليه وسلم: أعرفكم غراً محجلين من آثار الوضوء. ثم من جاوز لا يكون إلا ناجياً مسلماً فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط.

خامسًا: الميزان

قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} **47 الأنبياء**. إذا انقضى حساب البشر بعرضهم على ربهم ومحاسبتهم على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا، يضع الله تعالى الموازين لوزن تلك الأعمال، فالمحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلًا كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة. **قال محمد بن يحيى:** البطاقة الرقعة وأهل مصر يقولون للرقعة بطاقة. **وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، قال:** لما حضر أبا بكر الموت أرسل إلى عمر فقال: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان إذا وضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان إذا وضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً.

أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن:

قال صلى الله عليه وسلم: ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة. **فقوله:** ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، فيه دلالة على أن العمل نفسه وإن كان عرضًا أو صفة قد قام بالفاعل، يحيله الله يوم القيامة فيجعله ذاتاً يوضع في الميزان، كما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم: بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه.

وكما ثبت في الحديث الآخر اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه؛ اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما. اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة.

والمراد من ذلك أن ثواب تلاوتهما يصير يوم القيامة كذلك.

وقد جاء أن الإنسان العامل يوزن؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة. **وقال ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال:** يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم تلا: قول الله تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} **102- 103 المؤمنون. ثم قال:** إن الميزان يخف بمثقال حبة خردل أو يرجح. **وقال القرطبي وغيره:** من ثقلت حسناته على سيئاته ولو بزوانة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أثقل ولو بزوانة دخل النار، إلا أن يغفر اللّه، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف.

والسؤال الآن: هل من ثقلت حسناته على سيئاته بحسنة أو بحسنات، هل يدخل الجنة ويرتفع في درجاتها بجميع حسناته ويكون قد أحبطت السيئات التي قابلتها؟ أو يدخلها مما يبقى له من الحسنات الراجحة على السيئات وتكون الحسنات قد أسقطت ما وراءها من السيئات؟

الإجابة: الله تعالى أعلى وأعلم.

وقال ابن أبي الدنيا عن الحسن البصري قال: يعتذر الله يوم القيامة إلى آدم ثلاث معاذير يقول: يا آدم: لولا أني لعنت الكاذبين، وأبغض الكذب والحلف، لرحمت ذريتك اليوم من شدة ما أعددت لهم من العذاب، ولكن حق القول مني لمن كذب رسلي وعصى أمري لأملأن جهنم منهم

أجمعين، ويا آدم: اعلم أني لم أعذب بالنار أحداً من ذريتك ولم أدخل النار أحداً إلا من قد سبق في علمي أنه لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر مما كان عليه، ولن يرجع، ويا آدم: أنت اليوم عدل بيني وبين ذريتك، فقم عند الميزان، فانظر ما يرفع إلىك من أعمالهم، فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة، حتى يعلم أني لا أعذب إلا كل ظالم.

ونقل القرطبي عن بعضهم: أن الميزان له كفتان عظيمتان، لو وضعت السموات والأرض في واحدة لوسعتهما، فأما كفة الحسنات فنور، وأما الأخرى فظلمة، وهو منصوب بين يدي العرش، وعن يمينه الجنة، وكفة النور من ناحيتها، وعن يساره جهنم، وكفة الظلمة من ناحيتها، **قال:** وقد أنكرت المعتزلة الميزان؛ **وقالوا:** الأعمال أعراض لا جرم لها –جسم- فكيف توزن؟ **قال:** وقد روي عن ابن عباس: أن الله يخلق الأعراض أجسامًا فتوزن قال: والصحيح أنه توزن كتب الأعمال.

قلت: وقد تقدم ما يدل على الأول وعلى الثاني وعلى أن العامل نفسه يوزن. وقد يكون هناك ميزان واحد لوزن الأعمال، والموزونات كثر، أو قد يكون هناك أكثر من ميزان والله تعالى أعلى وأعلم. **قال أبو عبد الله القرطبي في التذكرة: قال العلماء:** إذا انقضى الحساب، كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لنفس الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، فيكون الجزاء بحسبها، **قال:** وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال ابن حزم الأندلسي في الفصل: وأما الميزان فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى وإقداماً، وتنطع آخرون فقالوا: هو ميزان بكفتين من ذهب؛ وهذا إقدام آخر لا يحل ويقولون بأفواههم ما ليس لهم به علم قال الله عز وجل: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيم} 15 النور. **وقال:** وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن أو بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصح في صفة الميزان، ولو صح عنه عليه السلام في ذلك شيء لقلنا به فإذ لا يصح عنه عليه السلام في ذلك فلا يحل لأحد أن يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به لكن نقول كما قال الله عز وجل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَة}. وقال تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} فنقطع على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد. قال تعالى عن الكفار: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنا}. وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن لكن أعمالهم شائلة وموازينهم خفاف وقد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول: {وَمَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}. فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك. ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير أعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التي لا تحس وزنها في موازيننا أصلاً فما زاد، ولا ندري كيف تلك الموازين إلا أننا ندري أنها بخلاف موازين الدنيا؛ وأن ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة أثقل ممن تصدق بكذآنة وليس هذا وزناً؛ وندري أن إثم القاتل أعظم من إثم اللاطم، وأن ميزان مصلي الفريضة أعظم من ميزان مصلي التطوع؛ بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن **النبي صلى الله عليه وسلم**: أن من صلى الصبح في جماعة كمن قام ليلة، ومن صلى العتمة في جماعة فكأنما قام نصف ليلة. وكلاهما فرض. وهكذا جميع الأعمال فإنما يوزن عمل العبد خيره مع شره، ولو نصح المعتزلة أنفسهم لعلموا أن هذا عين العدل. وأما من قال بما لا يدري أن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياساً على موازين الدنيا، وقد أخطأ في قياسه إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرطسون، وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ولا نقول إلا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ولا نكذب إلا بما فيهما إبطاله وبالله تعالى التوفيق. **قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية:** ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل رسل مبشرين ومنذرين. وكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه.

رابعًا: الصراط

الصراط هو جسر على جهنم يمر من فوقه الناس يريدون العبور إلى الجنة، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنون ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم. **عن سعيد بن أبي هلال؛ قال:** بلغنا أن الصراط يوم القيامة وهو على الجسر يَكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع. **وقال الثوري عن جنادة بن أبي أمية قال:** إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم، وحلاكم، ونجواكم، ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان هذا نورك، يا فلان لا نور لك، وقرأ: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أيْدِيهِمْ وَ بأيْمَانِهِمْ}. **وقال الضحاك:** ليس أحد إلا يعطى يوم القيامة نوراً، فإذا انتهوا إلى الصراط أطفيء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم، كما أطفيء نور المنافقين فقالوا: {رَبَّنَا أتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}. **وقال ابن أبي حاتم عن سليم بن عامر؛ قال:** خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة، وأخذوا في دفنها، **قال أبو أمامة:** أيها الناس: إنكم قد أصبحتم، وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا-يشير إلى القبر- بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، في بعض تلك المواطن يغشى الناس أمر من أمر الله، فتبيض وجوه، وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر، فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور، فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق، فلا يعطيان شيئاً وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ}. لا يستضيء الكافر والمنافق، كما لا يستضيءُ الأَعْمى ببصر البصير ويقول المنافقون للذين آمنوا: {انظرونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نوراً}. وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقون حيث قال: {يخادعُون اللَّهَ وَهوَ خَادِعُهمْ}. فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئاً، فيصرفون إليهم وقد: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَه بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِره مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ} قال: هو حائط بين الجنة والنار، وهو الذي قال الله تعالى فيه: {وَبَيْنَهُمَا حِجَاب}. **وقال ابن حزم:** وأما الصراط كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهراني جهنم ويمر عليه الناس فمخدوج وناج ومكردس في نار جهنم، وأن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك إلى من يقع في النار وهو طريق أهل الجنة إليها من المحشر في الأرض إلى السماء وهو معنى قول الله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّا} **71-72 مريم**.

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله (وما منكم إلا واردها) ماهو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وفي الصحيح أنه **صلى الله عليه وسلم قال:** والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله أليس الله يقول (وما منكم إلا واردها) فقال: ألم تسمعيه قال (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا). أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها. كذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين صلى الله عليه وسلم أن الورود هو المرور على الصراط. فقد خرج الترمذي في جامعه عن السدي قال: سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل {وإن منكم إلا واردها} فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم: فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رجله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه. **وقال ابن أبي الدنياعن سلمان الفارسي قال:** يوضع الصراط يوم القيامة، وله حد كحد الموسى، فتقول الملائكة: ربنا: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: ربنا: ما عبدناك حق عبادتك.

الفصل الثالث

في الجنة والنار

كان (فلان) من الجبارين في الأرض، كان أيضاً من الكافرين الغير مؤمنين بإله واحد خالق مدبر مصرف لهذا العالم، كان يظلم ويقتل ويزني ويعتدي على حرمات الأخرين شركائه في الأرض المستضعفين غير مبالياً ولا مكترثاً، وكم من أم ثكلى أو امرأة أو رجل ضعيف مظلوم قد دعى عليه رب السماوات أن ينتقم لهم من هذا الجبار الشقي، ولكن ما حدث أن فلان مات، فجأة مات ورحل من ظهر الأرض إلى باطنها في عشية وضحاها، وراح كل قلب مظلوم يفكر في ألم: من سينتقم لنا إذًا طالما أن هذا الجبار قد مات ورحل؟ من سيرد إلى المظلوم حقه؟ هل العدالة الإلهية تقبل أن يفر ذلك الظالم من العقاب والقصاص ويداه وفمه وقدماه ملوثين بدماء وأموال وحقوق المظلومين الضعفاء؟ إذًا لابد من يوم آخر يلتقي فيه المظلوم مع من ظلمه وجه لوجه. فيقتص منه ويأخذ منه حقه الذي سلبه إياه في الحياة الدنيا.

أما (فلان) فعند موته علم الحقيقة، علم أنه مات من الكافرين، وأتته ملائكة العذاب تهينه وتحقره وتضربه وهو على فراش الموت، حتى سلبت منه تلك الروح الخبيث النتنة الساكنة بين جنبات جسده لتبدأ رحلة من العذاب لا تنتهي أبدا. يوم البعث قد أتى وقد نفخ في الصور الملك الموكل به –الملك إسرافيل- فعادت الروح إلى جسد (فلان) الذي أقامه الله تعالى من جديد؛ حيث أمر الأرض أن تخرج تراب جسد (فلان) فتخرجه فتتكون العظام من هذا التراب مرة أخرى، ثم يكسو الله تعالى تلك العظام لحماً وبعودة الروح مرة أخيرة إلى ذلك الجسد فلن تفارقه أبداً بعد هذا اليوم العظيم.

قام (فلان) من قبره وكان أول ما قال أن قال: يا ويلتي من بعثني من قبري هذا؟ فجاءه الرد من آخر بجواره يقول في اطمئنان، هذا ما وعد الرحمن وصدق الأنبياء الذين بلغونا بالمجيء الحتمي لهذا اليوم:{قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون} 52 يس.

كان (فلان) غافلاً عن هذا اليوم، لا يظن أنه سيأتي أبداً، وها قد جاء اليوم الذي كان منه يحيد: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً. وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً. وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى. يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} 21-24 الفجر. ياليت! وهل تنفع شيئا كلمة يا ليت؟ قد أضاع (فلان) حظه في هذا اليوم العظيم، كما أضاع حياته الدنيا هباء، فهو ما فكر في هذا اليوم ولا أعد له أية عدة، ومع التأوه والندم والحسرة يقول: ياليتني قدمت لحياتي، وهيهات فقد ضاع يا (فلان) حظك في حياة كريمة. فيجلس (فلان) متحسراً متندماً يقول في

يأس، وقد أوتي كتابه بشماله فهو من أصحاب الشمال فجلس يولول ويصيح:{يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه} **29-25 الحاقة**. أما الآخر المؤمن المطمئن والذي كان في الدنيا يذكر الله ويغالب النسيان، ويستعد لمواجهة شديدة وعصيبة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فقدم لحياته الأخروية الحقيقية الباقية، فأنه يتلقى نبأ نجاحه بفرح شديد يصيح جذلان، مسمعاً كل إنسان: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ. إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِية} **19-24 الحاقة**. فصدق الحق الذي قال بالحق: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون} **64 العنكبوت**. فقال تعالى هي الحيوان كبركان وفيضان مصدر على سعة المعنى.

أولًا: الجـنة والنـار

مخلوقتان.. موجودتان

ها قد انتهى هذا اليوم العصيب العسير؛ والذي هو على الكافرين غير يسير، وقد شارفت محطة النهاية لتلك النفوس البشرية والتي ارتحلت في عوالم كثيرة وغامضة وغريبة لتصل في النهاية إلى مستقرها الأخير، إما في الجنة وإما في النار.

والجنة والنار مخلوقتان بالفعل وموجودتان كما اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ولم يخالف في هذا الأمر إلا فرق من المعتزلة والذين أنكروا وجودهما **وقالوا:** بل ينشئها الله تعالى يوم القيامة. وحملهم على هذا الإعتقاد الباطل أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله تعالى وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوا الله تعالى على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة.

قالت المعتزلة: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة! فردوا النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها لرب العالمين، وحرفوا النصوص والكلم عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم. وما نعلم لمن قال أنهما لم يخلقا بعد حجة أصلاً أكثر من أن بعضهم قال: قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وذكر أشياء من أعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة، وبقول الله تعالى حاكياً عن امرأة فرعون أنها قالت: {قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ} **11 التحريم**. **قالوا:** ولو كانت مخلوقة لم

يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى. **قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل:** وإنما قلنا أنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان، والبرهان على أنهما مخلوقتان بعد أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة ليلة الإسراء وأخبر عليه السلام أنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة، و قال تعالى: {عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}. فصح أن جنة المأوى هي السماء السادسة. وقد أخبر الله عز وجل أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}. فليس لأحد بعد هذا أن يقول أنها جنة غير جنة الخلد!.. وكذلك أخبر عليه السلام أن الفردوس الأعلى من الجنة التي أمرنا الله تعالى أن نسأله إياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة.

قلت: أما قول الإمام أن الجنة هي السماوات العلى وأن العرش مخلوق بعد الجنة ففيه نظر، إذ ليس معنى أن أرواح الأنبياء أو المؤمنين مرسلة في السماوات العلى أن السماوات العلى جنات! والصحيح أن للجنة مكان موجودة في السماوات العلى عند سدرة المنتهى والتي هي في قول هي في السماء السادسة وفي قول آخر في السماء السابعة، أما العرش فهو من أوائل المخلوقات هو والقلم واللوح المحفوظ فهاتيك المخلوقات الثلاثة سبقت في الوجود كافة المخلوقات الكونية على النحو الذي شرحناه في مقال آخر.

قال ابن حزم: وكذلك أخبر عليه السلام أن النار اشتكت إلى رباه فأذن لها بنفسين، وأن ذلك أشد ما نجده من الحر والبرد.

قلت: وأما الدليل على وجود الجنة فهو قوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين} 133 **آل عمران**. فهذا دليل صريح في أن الجنة معدة من قبل للمتقين فلو أنها غير مخلوقة لأتى الفعل بصيغة المستقبل ولقال تعد أو ستعد للمتقين.

كذلك قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** في قصة الإسراء في آخره: بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نورا عظيما. **وقال صلى الله عليه وسلم:** ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ونبقها مثل قلال هجر وورقها كآذان الفيلة تكاد الورقة تغطي هذه الأمة فغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك.

وقال عليه السلام في حديث كسوف الشمس في آخره: قال إني رأيت الجنة أو أريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا

قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن. قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط.

والدليل على وجود النار قوله تعالى:{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين} **24 البقرة**. وقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين} **131 آل عمران**. فهاهو تعالى قال أنه بالفعل قد خلق النار. **وقوله صلى الله عليه وسلم**: فقال إني أمامكم فلا تبادروني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ثم قال: والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. قلنا: ما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار. والكثير والكثير من الآيات والأحاديث النبوية الصحيحة التي تؤكد وجود النار والجنة، وأنهما بالفعل مخلوقتان وأن الله تعالى يزيد فيهما ما يشاء لمن يشاء كما في **قوله صلى الله عليه وسلم:** من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة. تماماً كما هي الأرض موجودة ويزداد فيها كل يوم بناء تلو البناء.

ثانيًا: بقاء الجنة والنار

أجمع أئمة أهل السنة على أن النار والجنة باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان ولم يشذ في هذا إلا إمام المعطلة الجهم بن صفوان والذي قال ما قال بناء على أصله أو قاعدته الفاسدة من أنه يمتنع وجود ما لا يتناهى من الحوادث. كذلك قال أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ووافقه على هذا الأصل الفاسد لكن الأخير قال بفناء حركات أهل الجنة وأهل النار حتى يصيروا في سكون تام ودائم لا يقدر منهم أحد على حركة.

وكان من أشهر علماء من أهل السنة والجماعة الذين قالوا بفناء النار بل ودخول أهل النار بعد ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار الإمامين الجليلين أبو العباس بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية وقد رد الإمام الصنعاني عليهما في رسالة مشهورة بإسم رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار لمن أراد الرجوع إليه. ولكن هذا كان من الإمامين زلة ولكل عالم زلة وهفوة ولا ينقص ذلك من قدرهما بين أهل السنة من شيء رحمهما الله وجمعنا وإياهم في جنة الخلد.

فكما قلنا الأدلة جازمة وحازمة في هذه المسألة حيث يقول الله تعالى: {لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها} **36 فاطر**. وقال: {أولئك يئسوا من رحمتي} **23 العنكبوت**. وقال: {ولا ينالهم الله برحمته} **49 الأعراف**. . وقال: {ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون} **77 الزخرف**. وقال: {سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص} **21 إبراهيم**. وقال: {خالدين فيها

أولئك هم شر البرية} 6 البينة. وقال: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب} 56 النساء. وقال: {كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها} 30 السجدة. وقال: {إنها عليهم مؤصدة} 8 الهمزة. **وكذلك بعض الأحاديث الصحيحة تدل دلالة قاطعة على ذلك منها:**

الأول: حديث أنس الطويل في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: فأخرجهم فأدخلهم الجنة فما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن. أي وجب عليه الخلود.

الثاني: حديث أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم؛ أو قال: بخطاياهم فأماتهم الله تعالى إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة.. الحديث. وفي رواية عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فأتى على هذه الآية: {لا يموت فيها ولا يحيى} فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فذكره نحوه إلا أنه قال: وأما الذين ليسوا من أهل النار فإن النار تميتهم.

ووجه دلالة الحديث أنه صرح تبعا للقرآن أن الكافر لا يموت في النار ولا يحيى فإذا قيل: بأن النار تفنى؛ فإما أن يقال: تفنى بمن فيها كما هو المتبادر إن قيل بفنائها أو تفنى لوحدها دون من فيها وكلاهما باطل لأن معنى الآية كما في تفسير ابن كثير: أن الكافر لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه. فإن فني الكافر معها فقد مات واستراح. وإن حيي دونها فقد استراح منها أيضا. وكل هذا باطل بداهة فإذا انضم إلى ذلك القول بأنه يدخل الجنة فهو أبطل.

الثالث: حديث ذبح الموت بين الجنة والنار وقد جاء عن جمع من الصحابة كابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم في الصحيحين وغيرهما فلنذكر حديثين منها: أحدهما: عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه. والآخر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدا. **قال الألباني:** ففي الحديث دلالة قاطعة على بطلان دعوى فناء النار لأنه جعلها كالجنة من حيث خلود أهلها فيما هم فيه من العذاب إلى الأبد فكما أن الجنة لا تفنى أبدا فكذلك النار لا تفنى أبدا وكل ذلك واضح بين إن شاء الله تعالى. **وقد قال الإمام أحمد بن حنبل:** والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع. **وقال صاحب العقيدة الطحاوية:** والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان.

وقال ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع: وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدا بلا نهاية.

ثالثًا: صفة الجنة وأهلها

قال ابن حزم في المحلى: أهل الجنة يأكلون ويشربون ويطئون ويلبسون ويتلذذون، ولا يرون بؤسًا أبدًا، وكل ذلك بخلاف ما في الدنيا؛ لكن ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحور عين حق نساء مطهرات خلقهن الله عز وجل للمؤمنين.

وتعالوا معنا نرى قبسات مما خبأ الله عز وجل لعباده المؤمنين في جنات النعيم حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر حتى على قلب بشر.

أجسام أهل الجنة وأعمارهم:

خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام بطول ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع وعلى هذا الحجم يدخل أهل الجنة الجنة؛ وكذلك يدخلون الجنة وكلهم أبناء ثلاثة وثلاثون سنة؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعًا فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن.

وقوله: خلق الله آدم على صورته؛ معناه على الصورة التي عليها آدم فالضمير يعود إلى آدم وليس إلى الله سبحانه وتعالى كما فهم المشبهين أخزاهم الله. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع.

محمد وأمته أول الناس دخولًا للجنة:

ذكر في حديث الصور: أنهم يأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فكل يحيد عن ذلك- كما تقدم في الصحاح- ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيذهب، فيقعقع حلقة باب الجنة، فيقول الخازن: من؟ فيقول: محمد. فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك.

قال ابن كثير في النهاية: فيدخل فيشفع عند الله في دخول المؤمنون دار الكرامة، فيشفعه، فيكون هو أول من يدخل الجنة من الأنبياء، وأمته أول من يدخلها من الأمم.

أبواب الجنة:

للجنة ثمانية أبواب؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون. وفي لفظ آخر: إن بالجنة باباً يدعى الريان، يدعى إليه الصائمون يوم القيامة، يقال: أين الصائمون؟ فإذا دخلوه أغلق، فلم يدخل منه غيرهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت.

ومن أبواب الجنة لاحول ولا قوة إلا بالله؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدلك على باب من أبواب الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله.

والجهاد باب من أبواب الجنة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم.

وبر الوالد من أبواب الجنة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الوالد أوسط أبواب الجنة.

وكما إن الجهاد باب من أبواب الجنة فإن للصلاة باب وللصيام باب وللصدقة باب؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة; قال أبو بكر: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول حين يفرغ من وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

وقال صلى الله عليه وسلم: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن البعث حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء.

الجنة جنان متعددة:

قال الله تعالى: {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} **22 الحاقة**. وقال تعالى: {فَأولئِكَ لَهم الدَّرَجَاتُ الْعُلَى} **75 طه**. وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَ بِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمواتُ وَالأَرْضُ أعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} **133 آل عمران**. وعن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.

وروي البخاري عن أنس بن مالك، أن أم حارثة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هلك حارثة يوم بدر، فقالت: يا رسول الله قد علمت موقع حارثة من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا فسوف ترى ما أصنع؟ فقال لها: أجنة واحدة هي، أم جنان كثيرة؟ وإنه في الفردوس الأعلى. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها. قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والأرض إذا سألتم الله عز وجل فاسألوه الفردوس فإنه في وسط الجنة وأعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة.

فللجنة درجات متفاوتة ليس يعلم مقدار تفاوتها إلا الله رب العالمين؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس.

أدنى أهل الجنة منزلة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سأل موسى ربه فقال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما يدخل أهل الجنة الجنة؛ فيقال له: ادخل الجنة؟ فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر.

وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا رجل يخرج من النار حبوا. فيقول الله: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها. فيقول: أتسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك؟ ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة.

وروى البيهقي عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه. قال: وتلا هذه الآية: إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا. وثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه

وسلم؛ قال: قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. مصداق ذلك في كتاب الله: قال الله تعالى: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. **وقال الإمام أحمد عن سهل بن سعد قال:** شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً، وصف فيه الجنة، حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم قرأ هذه الآية: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلون}.

غرف الجنة:

قال الله تعالى: {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَاد} **20** الزمر. وقال الله تعالى: {فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} **37** سبأ. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكواكب في السماء. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة يضحك إلهم ربك فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه. **وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن آلان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام.

الوسيلة أعلى مكان في الجنة:

الوسيلة أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله عز وجل لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتينها على الخلق يوم القيامة. **وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتينها على الخلق يوم القيامة.

قصور الجنة:

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ثم شقق فيها الأنهار وغرس فيها الأشجار فلما نظرت الملائكة إلى حسنها قالت: طوبى لك منازل الملوك. أخرجه البيهقي وغيره ولكن وقفه هو الأصح المشهور والله أعلم. **وقال صلى الله عليه وسلم:** أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيها ولا نصب. والقصب هو هنا الدر الرطب المرصع بالياقوت.

قال بعض العلماء: إنما كان بيتها من قصب اللؤلؤ، لأنها حازت قصب السبق في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين بعثه الله عز وجل، كما يدل عليه حديث أول البعثة، فإنها أول من آمن، حيث قالت-وقد أخبرها خبر ما رأى- وقال: لقد خشيت على عقلي. قالت: كلا؛ والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر. **قال ابن إسحاق:** وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه. فخفف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئا يكرهه -من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك- إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إلها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رضي الله عنها وأرضاها.

خيام الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا. **وقال أبو بكَر بن أبي الدنيا عن ابن عباس، قال:** الخيمة من درة مجوفة، طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب، حولها سرادق دورة خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب بهدية من الله عز وجل، وذلك قوله: {والمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عليهِمْ مِنْ بَابٍ} **23 الرعد.**

وقال ابن المبارك عن ابن عباس، قال: الخيمة درة، من درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. **وقال قتادة: عن خالد العصري عن أبي الدرداء قال:** الخيمة لؤلؤة واحدة، لها سبعون باباً كلها من در.

تربة الجنة:

ثبت في الصحيحين: من حديث الزهري، عن أنس بن مالك، عن أبي ذر، في حديث المعراج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدخلت الجنة فإذا فيها جنادل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك. وقال الإمام أحمد: عن أبي سعيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة؟ فقال: هي در مكة بيضاء، مسك خالص. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق.

أنهار الجنة:

قال الله تعالى: {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ} **25 البقرة**. وقال الله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغيَّرْ طَعْمُهُ وَأنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} **15 محمد**. وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو من تحت جبال المسك. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت وطينه المسك الأذفر. قال: قلت: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له. **(رواه ابن أبي الدنيا موقوفا ورواه غيره مرفوعا والموقوف أشبه بالصواب)**

وفي حديث الإسراء في ذكر سدرة المنتهى قال: فإذا بها يخرج من أصلها نهران باطنان، ونهران ظاهران، فالباطنان في الجنة والظاهران النيل والفرات. وفي مسند أحمد، وصحيح مسلم، واللفظ له عن أبي بريزة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيحان وجيحان والفرات والنيل وكل من أنهار الجنة.

أشجار الجنة وثمرها:

قال الله تعالى: {وَأصحَابُ اليَمِينِ مَا أصحَابُ اليَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍ مَمدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ وَفُرُش مَرْفُوعَةٍ} **27- 34 الو اقعة**. وقال تعالى: {فِيهِمَا فاكِهَة وَنَخْل وَرُمَّانٌ} **68 الرحمن**. وقال تعالى: {فِيهِمَا مِنْ كُل فاكِهَةٍ زَوْجَانِ} **52 الرحمن**. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ولا يقطعها واقرءوا إن شئتم {وظل ممدود}. **وقال ابن أبي الدنيا عن ابن عباس؛ قال:** الظل الممدود شجرة في الجنة، على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام، أي كل نواحيها قال: فيخرج إليها أهل الجنة، أهل الغرف، وغيرهم فيتحدثون في ظلها؛ قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة، فيحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن ابن عباس، قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وفروعها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم، وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء. أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، واللبن من الزبد، ليس فيه عجم. **وعن عتبة بن عبد؛ قال:** جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: ما حوضك الذي تحدث عنه؟ فذكر الحديث إلى أن قال: فقال الأعرابي: يا رسول الله فيها فاكهة؟ قال: نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى

هي تطابق الفردوس. فقال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليس تشبه شيئا من شجر أرضك ولكن أتيت الشام؟ قال: لا يا رسول الله. قال: فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ثم ينتشر أعلاها. قال: فما عظم أهلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لما قطعتها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا. قال: فيها عنب. قال: نعم. قال: فما عظم العنقود منها؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقع ولا ينثني ولا يفتر. قال: فما عظم الحبة منه؟ قال: هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه عظيمًا فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال ادبغي هذا ثم افري لنا منه ذنوبًا يروي ماشيتنا؟ قال: نعم. قال: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وعامة عشيرتك. وقال الله تعالى: {فِيهِمَا فاكِهَة وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} **الرحمن 68**. وقال: {فِيهِمَا مِنْ كل فاكِهَةٍ زَوْجَانِ} **الرحمن 52**. وقال: {وأصحَابُ اليمِين مَا أَصْحَابُ اليمِين فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْح مَنْضُودٍ وَظِلّ مَمدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكوبٍ وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلاَ ممْنُوعَة} **الو اقعة 27- 33**. **أي:** لا تنقطع في بعض الأزمان، بل هي موجودة في كل أوان، كما قال تعالى: {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا} **الرعد 35**. أي: ليس كالدنيا، التي تأتي ثمارها في بعض الفصول، وتفقد في وقت آخر، وتكتسي أشجارها الأوراق في وقت، وتخلعها في وقت آخر، ولا ممنوعة: أي من أرادها فإنها ليس دونها حجاب، ولا مانع، بل من أرادها فهي موجودة، سهلة، منالها قريب، حتى ولو كانت الثمرة في أعلى الشجرة، فأراد أخذها، اقتربت منه وتدلت إليه. **قال أبو إسحاق: عن البراء:** {وَذُلِّلَتْ قُطُوفهَا تَذْلِيلاً} أدنيت حتى يتناولوها وهم نيام.

قال ابن كثير في النهاية: وقد سبق فيما أوردناه من الأحاديث: أن تربة الجنة من مسك وزعفران، وأنه ما في الجنة شجرة إلا ولها ساق من ذهب فإذا كانت تربة الجنة هذه، والأصول كما ذكرنا، فما ظنك بما يتولد منها، من الثمرة الرائقة، الناضجة، الأنيقة، التي ليس في الدنيا منها إلا الأسماء. **قال ابن عباس رضي الله عنه:** ليس في الجنة من الدنيا إلا الأسماء. وإذا كان السدر الذي في الدنيا وهو لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة وهو النبق، وشوكه كثير، والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلا الظل، يكونان في الجنة في غابة من كثرة الثمار وحسنها، حتى إن الثمرة الواحدة منها تنفتق عن سبعين نوعاً من الطعوم، والألوان، التي يشبه بعضها بعضاً، فما ظنك بثمار الأشجار، التي تكون في الدنيا حسنة الثمار، كالتفاح، والنخل، والعنب، وغير ذلك؟ وما ظنك بأنواع الرياحين، والأزاهير؟ وبالجملة، فإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله منها فضله. وفى الصحيحين: عن ابن عباس: قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت؟ قال صلى الله عليه وسلم: إني أريت الجنة فتناولت عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا..الحديث.

شراب وطعام أهل الجنة:

قال الله تعالى: {وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْم طَيْر مِمَّا يَشْتَهُونَ} **الواقعة20-21**. وقال الله تعالى: {يُطَافُ عليهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهبٍ وَأَكْوَابٍ وفيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنْفسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ وَأنْتُمْ فِيهَا خَالِدونَ}. **الزخرف71**. وقال تعالى: {إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرِبُونَ مِنْ كَأس كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً}. **الإنسان 5-6**. وقال تعالى: {وَيُطَافُ عليهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرا قَوَارِيرا مِنْ فضَّةٍ قدَّروهَا تَقْدِيراً} **الإنسان 15- 16**. أي: في صفاءَ الزجاج، وهي من فضة، وهذا مما لا نظير له في الدنيا، وهي مقدارة على قدر كفاية ولي الله في شربه، لا يزيد عليه، ولا ينقص من كفايته شيئاً، وهذا يدل على الاعتناء والشرف. وقال تعالى: {كُلّمَا رزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رزْقاً قَالُوا هذَا الَّذِي رزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً} **البقرة 25**. أي: كلما جاءتهم الخدم بشيء من ثمار وغيرها، حسبوه الذي أتوا به قبل هذا، لمشابهته له في الظاهر، وهو في الحقيقة خلافه، فتشابهت الأشكال واختلفت الحقائق، والطعوم، والروائح.

وقال الإمام أحمد عن زيد بن أرقم، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم: ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وكان قد قال لأصحابه: إن أقر لي بهذا خصمته؛ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع، قال: فقال اليهودي: إن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة: قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حاجة أحدهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فإذا البطن قد ضمر.

وروى أحمد عن أنس بن عبد الله بن سلام، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، عن أشياء منها: وما أول شيء يأكله أهل الجنة؟ فقال: زيادة كبد حوت.

وقال الأعمش عن ابن مسعود، وفي قوله تعالى: {يسقَوْن مِنْ رَحِيق مَخْتُوم خِتَامُهُ مِسك} **المطففين 25**. قال: الرحيق: الخمر، مختوم: يجدون عاقبتها ريح المسك.

وقال سفيان بن عطاء بن السائب عن ابن عباس، في قوله تعالى: {وَمِزَاجُه مِنْ تَسْنِيم} **المكففين 27**. قال: هو أشرف شراب أهل الجنة، يشربه المقربون صرفاً ويمزج لأهل اليمين.

قال ابن كثير: وقد وصف الله عز وجل خمر الجنة بصفات جميلة حسنة، ليست في خمور الدنيا، فذكر أنها أنهار جارية، كما قال تعالى: {فِيهَا عَيْن جَارِيَةٌ} **الغاشية 12**. وكما قال الله تعالى: {فِيهَا أنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْر آسِن، وَأنْهاز مِنْ لَبَن لَمْ يَتَغَيّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْر لَذَّة لِلشَّارِبِينَ وَأنْهَارٌ مِنْ عَسَل مُصَفى} **محمد 15**. فهذه الخمرة أنهار جارية، مستمدة من بحار كبار هناك، ومن عيون تنبع من تحت كثبان المسك، ومما يشاء الله عز وجل، وليست بأرجل الرجال في أسوأ الأحوال،

وذكر أنها لذة للشاربين، لا كما توصف به خمرة الدنيا من كراهة المطعم، وسوء الفعل في العقل، ومغص البطن، وصداع الرأس وقد نزهها تعالى عن ذلك في الجنة فقال تعالى: {يُطَافُ عليهِمْ بِكَأس مِن مَّعِين بَيْضَاء} **الصافات 45**. أي: حسنة المنظر. {لَذّةٍ لِلشَّارِبِينَ طَيبة الطعم لاَ فِيهَا غَـول} وَهُـوَ وجع البطن: {وَلاَ هُـمْ عَنْهَـا يُنْزَفُـونَ} أي: لا تذهب عقولهم. وذلك أن المقصود من الخمر: إنما هو الشدة المطربة، وهي الحالة البهجة التي يحصل بها السرور للنفس، وهذا حاصل في خمر الجنة، فأما إذهاب العقل، بحيث يبقى شاربها كالحيوان أو الجماد، فهذا نقص، إنما ينشأ من خمر الدنيا، فأما خمر الجنة فلا تحدث هذا، إنما يحصل عنها السرور والابتهاج.

وقد ذكرنا التفسير: عن عبد الله بن عباسٌ: أن الجماعة من أصحاب الجنة، يجتمعون على شرابهم، كما يجتمع أهل الدنيا، فتمر بهم السحابة، فلا يسألون شيئاً إلا أمطرت عليهم، حتى إن منهم من يقول: أمطرينا كواعب أتراب، فتمطرهم كواعب أتراباً. وتقدم أنهم يجتمعون عن شجرة طوبى، فيذكرون لهو الدنيا- وهو الطرب- فيبعث الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا. وفي بعض الآثار: أن الجماعة من أهل الجنة يجتازون وهم ركبان على نجائب الجنة وهم صف بالأشجار، فتتفرق الأشجار عن طريقهم ذات إلىمين، وذات الشمال، لئلا يفرق بينهم. وقال تعالى: {لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كذَّابا} **النبأ35**. أي: لا يصدر عنهم على شرابهم لشيء من اللغو، وهو الكلام الساقط، التافه ولا تكذيب.

أكواب وكؤوس الجنة:

الأكواب: هي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم، والأباريق بخلافها من الوجهين، والكأس هو القدح فيه الشراب وقال تعالى: {وَكَأساً دِهَاقاً} **النبأ 34**. أي: ملأى مترعة ليس فيها نقص. وثبت في الصحيحين: عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة.

لباس أهل الجنة وحليهم وثيابهم وجمالهم:

قال الله تعالى: {عَالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُس خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّة وَسَقَاهُمْ ربهُمْ شَرَاباً طَهُوراً} **الإنسان 21**. وقال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحلّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذهَبٍ وَلُؤْلُؤاً ولِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} **فاطر33**. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء. **والحلية:** هي ما يحلى به أهل الجنة من الأساور ونحوها. **وقال الحسن البصري:** الحلة في الجنة على الرجال أحسن منها على النساء. **وقال صلى الله عليه وسلم:** من يدخل الجنة ينعم فيها لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في

السـماء إضـاءة. لا يبولـون، ولا يتغوطـون، ولا يتفلـون، ولا يتمخطـون، أمشـاطهم الـذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء. **وزاد في رواية:** ولكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم - كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء -وما في الجنة أعزب. وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** قيد سوط أحدكم في الجنة خير من الـدنيا ومثلها معها، ولقـاب قـوس أحـدكم مـن الجنـة خير مـن الـدنيا ومثلهـا معهـا، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها. قلت: يا أبا هريرة ما النصيف؟ قال: الخمار. **وقال صلى الله عليه وسلم:** لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، لقاب قوس أحدكم أو موضع قيده في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحًا ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها.

فرش الجنة:

قال تعالى: {فِيهَا عَيْن جَارِيَة فِيهَا سُرر مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَاب مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِي مَبْثُوثَة}**الغاشية 12-16**. النمارق: وهي المخاد، مصفوفة: مسومة هاهنا، وهاهنا في كل مكان من الجنة كما قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْر وَعَبْقَري حِسَانٍ} **الرحمن 76**. **والعبقري:** هي عتاق البسط أي جيادها، وخيارها، وحسانها، وقد خوطب العرب بما هو عندهم أحسن، وفيها أعظم مما في النفوس وأجل، من كل صنف ونوع، من أجناس الملاذ والمناظر، وبالله المستعان. **والنمارق:** جمع نمرقة بضم النون وحكى كسرها، وهي الوسائد، وهي المساند، وقد يعمها اللفظ. **والزرابي:** البسط، **والرفرف:** قيل رياض الجنة، وقيل ضرب من الثياب، والعبقري، جياد البسط، والله أعلم.

بنات آدم والحور العين:

قال الله تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فرُش بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق وَجَنَى الْجَنَّتَيْن دَان فَبأي آلاَءِ رَبكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِن قَاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَان فَبِأيِّ آلاَءِ ربكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالْمَرْجَان} **الرحمن 54- 58**. وقال تعالى: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأي آلاَءِ ربِّكُمَا تُكَذِبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَام فَبِأي آلاَءِ ربكُمَا تكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنّ إِنْس قَبْلَهُمْ وَلاَ جَان} **الرحمن 70-74**. وقال تعالى: {لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاج مُطَهَّرَةٌ} **البقرة 25**. أي من الحيض، والنفاس، والبول، والغائط والبزاق، والمخاط، لا يصدر منهن شيء من ذلك، وكذلك طهرت أخلاقهن وأنفاسهن وألفاظهن

ولباسهن وسجيتهن. وقال عبد الله بن المبارك عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} **البقرة 25**. قال: من الحيض والغائط والنخامة والبزاق.

وقال أبو الأحوص: عند قوله: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} بلغنا في الرواية أن سحابة أمطرت من تحت العرش فخلقن من قطراتها، ثم ضربت على كل واحدة خيمة على شاطىء الأنهار، سعتها أربعون ميلاً، وليس لها باب، حتى إذا حل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب، ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة، والخدم، لم تأخذها، فهن مقصورات قد قصرت عن أبصار المخلوقين. وقال تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} **الو اقعة 22**. وقال في الآية الآخرى: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} **الصافات 49**. قيل: إنه بيض النعام المكنون في الرمل: وبياضه عند العرب أحسن ألوان البياض، وقيل: المراد به اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفة. وقال تعالى: {إنا أنْشَأنَاهُنَّ إنْشاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أبْكَاراً عُرباً أتْرَاباً لأِصْحَابِ إلىمِين} **الو اقعة 35- 38**. أي أنشأهن الله بعد الكبر والعجز والضعف في الدنيا، فصرن في الجنة شباباً طرياً أبكاراً عرباً أي: متحببات إلى بعولهن، أتراباً لأصحاب اليمين أي: في مثل أعمارهم. وخرج الألباني في سلسلته الصحيحة عن أبي هريرة؛ قال: افتخرت الرجال والنساء؛ فقال أبو هريرة: النساء أكثر من الرجال في الجنة. فنظر عمر بن الخطاب إلى القوم؛ فقال: ألا تسمعون ما يقول أبو هريرة؟ فقال أبو هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: في أول زمرة تدخل الجنة وجوههم كالقمر ليلة البدر، والثانية كأضوء كوكب في السماء، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم؛ وليس في الجنة عزب.

قلت: وأبو هريرة رضي الله عنه استنتج من هذا الحديث أن النساء أكثر من الرجال في الجنة إذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن للرجل من أهل الجنة زوجتان من البشر المؤمنين دون الحور العين؛ وفي هذا دليل على أن النساء أكثر من الرجال أو ضعف الرجال في الجنة؛ والله تعالى أعلى وأعلم.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن ابن عباس، قال: لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس، لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض.

وذكر ابن وهب: عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر، فكيف الصورة؟ وما خلق الله شيئاً يلبسه لابس هو أمثل مما عليها من الثياب والحلى.

وقـال أبـو هريـرة: إن في الجنـة حـوراء يقـال لهـا العينـاء، إذا مشـت مشـى حولهـا سـبعون ألـف وصيف، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر؟ أوردهما القرطبي. **وقـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم:** إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام؛ ينظرن بقرة أعيان؛ وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه نحن الآمنات فلا يخفنه؛ نحن المقيمات فلا يظعنه.

وقال القرطبي بعد ما أورد الحديث المتقدم في غناء الحور العين: إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صلىتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن. قالت عائشة: يغلبن. والله أعلم. هكذا ذكره في التذكرة، ولم ينسبه إلى كتاب، والله أعلم.

لذة النظر إلى الله تعالى:

قـال الله تعـالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} القيامـة 22. **وقـال صـلى الله عليـه وسـلم:** جنتـان مـن فضـة آنيتهمـا ومـا فيهمـا وجنتـان مـن ذهـب آنيتهمـا ومـا فيهمـا ومـا بـين القـوم وبـين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن. وله شاهد في الصحيحين: عن جرير، مرفوعاً، عند ذكر رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة: كما يرون الشمس والقمر. وفي صحيح البخاري: إنكم سترون ر بكم عيانا. **قال ابن كثير:** وهذا مقام عال، حتى إنهم يرون ربهم عز وجل وهم على أرائكهم وسررهم كما يرى القمر في الدنيا في مثل هذه الأحوال، يرون الله تعالى أيضاً في المجمع الأعم الأشمل، وهو في مثل أيام الجمع، حيث يجتمع أهل الجنة في وادٍ أفيح- أي متسع- من مسك أبيض، ويجلسون فيه على قدر منازلهم، فمنهم من يجلسى على منابر من نور، ومنهم من يجلس على منابر من ذهب، وغير ذلك من أنواع الجواهر وغيرها، ثم تفاض عليهم الخلع، وتوضع بين أيديهم الموائد بأنواع الأطعمة والأشربة، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ثم يطيبون بأنواع الطيب كذلك، ويباشرون من أنواع الإكرام ما لم يخطر في بال أحد قبل ذلك، ثم يتجلى لهم الحق جل جلاله سبحانه وتعالى، ويخاطبهم واحداً واحداً، كما دلت على ذلك الأحاديث. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم سترون ربكم عز وجل، كما ترون هذا القمر، لا تمارون في رؤيته، فإن استطعتم فداوموا على الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

وقـال الله تعـالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} يونس26. وقد روي عن جماعة من الصحابة تفسير هذه الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل، منهم أبو بكر الصديق، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وحذيفة بن إلىمان، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب،

ومجاهد، وعكرمة، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف، والخلف، رحمهم الله، وأكرم مثواهم أجمعين.

سوق الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فيها كثبان المسك فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالًا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا. فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا.

خيل الجنة:

عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا كان. قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه قال: إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك.

رابعًا: صفة النار وأهلها

قال ابن حزم في المحلى: أهل النار بعذبون بالسلاسل والأغلال والقطران وأطباق النيران، أكلهم الزقوم وشربهم ماء كالمهل والحميم؛ نعوذ بالله من ذلك. **وقال تعالى:** {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ} **إبراهيم50**. وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيرا}**الإنسان4**. وقال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيم}**المائدة37**. وقال تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقا}**الكهف29**.

وتعالوا معًا لنرى قبسات من هذا العذاب السرمدي المهول الذي سيعانيه من يدخلها، ومن خلال هذا نؤكد أن جهنم ليست مجرد نار يحرق فيها الكافرون والعصاة ممن غلبت ذنوبهم حسناتهم ولكنها حياة كاملة فيها الأكل والشراب ولكن ليس فيها نوم من شدة العذاب والألم.

عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: يقول الله لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي.

أجسام الكفار في النار:

لأن نار جهنم نار لم يرى لها الإنسان من مثيل وعذابها كذلك لا يمكن تخيل مدى ألمه وشدته؛ فإن الله تعالى يغلظ أجساد الكفار في النار إلى أحجام رهيبة عملاقة ليحتمل جسده كل هذا العذاب والألم؛ قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَروا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نصلِهِمْ نَاراً كُلّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً} النساء56. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع. ومابين منكبي الكافر: أي ما بين كتفيه.. أي ما بين كتفيه مسيرة ثلاث أيام لراكب الفرس المسرع! فتخيل هذا الحجم المهول!!

وقال صلى الله عليه وسلم: ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء (مدينة يمنية)، ومقعده من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جسده (جلده) اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار. وقديد مدينة تشرف على وادي قديد شمال مكة يبعد عنها مسافة 150 كيلو متر.

قال أبو هريرة: وكان يقال بطنه مثل بطن إضم الجبار ملك باليمن له ذراع معروف المقدار. كذا قال ابن حبان وغيره وقيل: ملك بالعجم.

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل والله ما تدري إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجري فيها أودية القيح والدم.

قال ابن كثير في نهاية الفتن والملاحم: وقد عظمت خلقهم، كما دلت عليه الأحاديث التي أوردناها ليكون ذلك أنكى في تعذيبهم، وأعظم في تعبهم ولهيبهم، كما قال شديد العقاب: {لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}.

جهنم وحرها:

قال تعالى: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} **الرحمن 44**. أي حار، قد تناهى حره، وبلغ الغاية في ذلك. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافية! قال: إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها.

أبو طالب أدنى أهل النار عذابا:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمه أبا طالب: هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح يبلغ كعبه، تغلي منه أم دماغه. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أهون أهل النار عذابًا رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع أجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى كعبيه مع أجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى ركبتيه مع أجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى أرنبته مع إجراء العذاب، ومنهم من في النار إلى صدره مع إجراء العذاب، ومنهم من قد اغتمر.

وهو في مسلم مختصرًا: إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حر نعليه. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا وإنه لأهونهم عذابًا. **وقال صلى الله عليه وسلم:** إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل يحذى له (يقطع له) نعلان من نار يغلي منهما دماغه يوم القيامة.

شكوى النار إلى ربها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتكت النار إلى ربها؛ فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا. فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف؛ فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم. وقال الله تعالى: {انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} **المرسلات 29-34**. قال الطبراني عن علقمة بن قيس، سمعت ابن مسعود يقول: في قول

الله تعالى: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ} أما إنه ليس مثل الشجر والجبل، ولكن مثل المدائن والحصون. **وقال صلى الله عليه وسلم:** يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في جهنم صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط.

وصف جهنم:

قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً} **النساء 145**. وقال تعالى: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} ق30. **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار.

والخريف هو العام. وقال صلى الله عليه وسلم: لو أن حجرا مثل سبع خلفات ألقي عن شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ قعرها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة -صوت قوي- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفًا فالآن حين انتهى إلى قعرها.

وقال أبو هريرة: والذي نفس أبو هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفًا. وقال صلى الله عليه وسلم: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

أبوَاب جَهنم وخزنَتِهَا وَزَبَانِيتُهَا:

قال الله تعالى: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لكلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مقْسُومٌ} الحجر44. **وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن عاصم بن ضمرة، عن على، قال:** إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض-وأشار بأصابعه- فيملأ هذا، ثم يملأ هذا، ثم هذا، ثم هذا. **وعن ابن جريج قال في قوله:** {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم- وفيها أبو جهل- ثم الهاوية. **وقال أبي بن كعب:** لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية. **وقال وهب بن منبه:** بين كل بابين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد من الذي فوقه بسبعين ضعفًا. **وقال تعالى:** {يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا قُواْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عليها مَلاَئِكَةٌ غِلاَظ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}. **أي:** لهم قوة على إبراز ما أمروا به، من العزم، إلى الفعل، فلهم عزم صادق، وأفعال عظيمة، وقوة بليغة، وشدة باهرة.

وقال تعالى: {عليها تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً} **المدثر30**. أي لكمال طاعتهم وقوتهم. **قال ابن كثير:** وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا عِدّتهمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلّذِينَ كَفَرُوا} **المدثر31. أي:** اختباراً وامتحاناً، وكأن هؤلاء التسعة عشر كالمقدمين، الذين لهم أعوان وأتباع، وقد روينا هذا عند الكلام على قوله تعالى: {خُذُوه فَغُلُّوهُ} الحاقة30. ثم إن الرب تعالى، إذا أمر بذلك، يبتدره سبعون ألفاً من الزبانية.

سرادق النار وأغلالها وسلاسلها وطعامها وشرابها:

قال الله تعالى: {إِنَّا أعتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً} **الكهف 29**. والسرادق هو السور. **وقال تعالى:** {إِنَّهَا عليهِمْ مُوصَدَةٌ فِي عَدَدٍ ممَددةٍ} **الهمزة 8-9. مؤصدة:** أي مطبقة.

وقال تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أنْكَالاً وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غصَّةٍ وَعَذَاباً أليماً} **المزمل 12-13. وقال تعالى:** {إِذِ الأغلاَلُ فِي أعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلَ يمسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} **غافر71-72. وقال تعالى:** {هذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قطِّعَتْ لَهمْ ثِيَاب مِن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوق رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} **الحج 19.**

قال أبو بكر بن أبي الدنيا أبي الأحوص، قال ابن مسعود: أي أهل النار أشد عذابًا؟ فقال رجل: المنافقون، قال: صدقت. قال: فهل تدري كيف يعذبون؟ قال: يجعلون في توابيت من حديد، تطبق عليهم، ثم يجعلون في الدرك الأسفل من النار، في تنانير أصغر من الرخ، يقال له جب الحزن، فيطبق على أقوام بأعمالهم آخر الأبد. **وقال ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال:** إن أهل النار الذين هم أهلها، هم في النار، لا يهتدون ولا ينامون، ولا يموتون، يمشون على النار، يجلسون على النار، ويشربون من صديد أهل النار، ويأكلون من زقوم أهل النار، لحفهم نار، وفرشهم نار، وقمصهم نار وقطران، وتغشى وجوههم النار، وجميع أهل النار في سلاسل بأيدي الخزنة أطرافها، يجذبونهم مقبلين ومدبرين، فيسيل صديدهم إلى حفير في النار، فذلك شرابهم.

قال: ثم بكى وهب حتى سقط مغشيًا عليه.

قال ابن كثير: وهذا الكلام عن وهب بن منبه اليماني، وقد كان ينظر في كتب الأوائل، وينقل في صحف أهل الكتاب، الغث والسمين، ولكن هذا له شواهد من القرآن العظيم وغيره من الأحاديث، قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالدُونَ لاَ يفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كانوا هُم الظَّالِمِينَ وَنَادوْا يَا مَالك لِيَقْض علينَا رَبَّكَ قَالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ} **الزخرف 74-77**. وقال تعالى: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلاَ همْ يُنَصَرُونَ بَلْ تَأتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يستطيعُونَ ردها وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ} **الأنبياء39-40.**

وتقدم في الصحيح: أن أهل النار الذين هم أهلها، لا يموتون فيها، ولا يحيون. وفي الحديث المتقدم في ذبح الموت بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت. وكيف ينام من هو في عذاب متواصل لا يفتر عنه ساعة واحدة ولا لحظة؟!

وقال تعالى: {كلَّمَا أَرَادوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أعِيدوا فِيهَا وذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ} **الحج22.**

أما طعام أهل النار وشرابهم فيها فهو عين العذاب والتحقير والمهانة وقمة الألم؛ قال الله تعالى: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٌ لاَ يسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} **الغاشية 6-7. والضريع:** شوك بأرض الحجاز يقال له: الشبرق؟ وفي حديث الضحاك عن ابن عباس مرفوعا: الضريع: شيء يكون في النار، يقال: يشبه الشوك. أمرّ من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، إذا طعمه صاحبه لا يدخل البطن، ولا يرتفع إلى الفم، فيبقى بين ذلك، ولا يسمن ولا يغني من جوع.

وقال تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غصَّةٍ وَعَذَاباً إلِيماً} **المزمل12-13. وقال:** {واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ويسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} **إبراهيم 15-17.** وقال عبد الله بن المبارك عن أبي أمامة في قول الله تعالى: {وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ} قال: يقرب إليه فيتكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه فيه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره. **وقال صلى الله عليه وسلم:** لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه؟!. وقال تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعددَهُ يَحْسَبُ أنَّ مَالَهُ أخْلده كلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أدرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةَ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأفْئِدَةَ إنَّهَا عليهمُ مُّؤْصدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمددَةٍ} **الهمزة 1-9.**

وقال ابن المبارك في الزهد عن محمد بن المنكدر، قال: لما خلقت النار، فزعت الملائكة، وطارت أفئدتها، فلما خلق آدم سكن ذلك عنهم، وذهب ما كانوا يحذرون. وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفًا، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة. **وروى البيهقي عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال:** كان يزيد بن شجرة رجلاً من الزهاد، وكان معاوية يستعمله على الجيوش، فخطبنا يوماً، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم، لو ترون ما أرى، من بين أحمر وأصفر، ومن كل لون- وفي الرحال ما فيها- إنه إذا أقيمت الصلاة، فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة، وزين الحور العين، وإذا أقبل أحدكم على القتال بوجهه، زينته الحور العين، وانطلقن يقلن: اللهم ثبته، اللهم انصره، فإذا أدبر، احتجبن عنه، وقلن:

اللهم عليه فانهلوا من دماء القوم فداكم أبي وأمي، فإن أول قطرة تقطر من دمائكم، يحط الله بها عنكم خطاياكم، كما يحط ورق الشجر عن الغصن، وتبتدره اثنتان من الحور العين، ويمسحان التراب عن وجهه، ويقولان: نحن لك فداء، ويقول هو: أنا لكما فداء، فيكسى مائة حلة، لو وضعت بين إصبعي هاتين لوسعتاهن، ليست من نسج بني آدم، ولكنها من ثياب الجنة، إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم، ونجواكم، وحلالكم، وحرامكم، ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان هذا نورك، يا فلان هذا نورك، يا فلان لا نور لك، وإن لجهنم ساحلاً كساحلا البحر، فيه هوام وحيات، كالبخاتي البزل، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم، وجنوبهم، وبما شاء من ذلك، فيسلطها عليهم، فيرجعون فيتأدون إلى معظم النار، ويسلط عليهم الجرب، حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم، فيقال: يا فلان: هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين. **وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن كعب الأحبار؛ قال:** حيات جهنم أمثال الأودية، وعقاربها كأمثال القلاع، وإن لها أذناباً كأمثال الرماح، يلقى أحدها الكافر، فيلسعه، فيتناثر لحمه على قدميه.

أسماء جهنم وأوديتها:

لجهنم أسماء عديدة جاءت في كتاب الله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم منها: **الهاوية:** قال ابن جريج: أسفل درك في النار، قال الله تعالى: {وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ} **القارعة 8.** قيل: فأم رأسه هاوية: أي ساقطة، من الهوى في النار.**وقيل:** المراد بقوله: فأمه هاوية: أي الدرك الأسفل من النار، أو صفة النار من حيث هي.

قال القرطبي: قال العلماء: أعلى الدركات جهنم، وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهي التي تخلي من أهلها فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. قال تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ. نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. إِنَّهَا عليهم مُّؤْصَدَةٌ. فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِ} **5-9 الهمزة.** وقال تعالى: {سَأُصلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ. لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ. عليها تِسْعَةَ عَشَرَ} **المدثر26-30. وقال الضحاك:** في الدرك الأعلى المحمديون، وفي الثاني النصارى، وفي الثالث اليهود، وفي الرابع الصابئون، وفي الخامس، المجوس، وفي السادس مشركو العرب، وفي السابع المنافقون.

قال ابن كثير: هذه المراتب وتخصيصها بهؤلاء، مما يحتاج إثباته إلى سند صحيح إلى المعصوم الذي: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إن هوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} **النجم 3-5.** ومعلوم أن هؤلاء كلهم يدخلون النار، ولكن كونه على هذه الصفة والترتيب الله أعلم بذلك. فأما المنافقون:

ففي الدرك الأسفل من النار بنص القرآن لا محالة. قال القرطبي: ومن هذه الأسماء ما هو علم للنار كلها لجملتها، نحو جهنم، وسعير، ولظى، فهذه أعلام، وليست لباب دون باب.

الجهنميون:

الجهنميون هم مسلمون أدخلوا النار بذنوبهم وأخرجوا منها بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: ليخرجن قوم من أمتي من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين.

قال الطبراني عن صالح بن أبي طريف، سألت أبا سعيد الخدري، قلت له: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو كَانُوا مُسْلِمِينَ} **الحجر2.** قال: نعم: سمعته يقول: يخرج الله أناساً من النار، ما يأخذ نقمته منهم. وقال: لما أدخلهم الله النار مع المشركين، قال لهم المشركون: تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا، فما بالكم معنا في النار. فإذا سمع الله ذلك منهم، أذن في الشفاعة لهم، فشفع الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك، قالوا: ليتنا كنا مثلهم، لتدركنا الشفاعة، فنخرج معهم. قال فذلك قول الله تعالى: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} **الحجر2.** فيسمون في الجنة الجهنميين، من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: يا رب أذهب عنا هذا الإسم، فيأمرهم، فيغتسلون في نهر الجنة، فيذهب ذلك الإسم عنهم.

خامسًا: آخر من يخرج من النار

ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة ومن بعده يغلق باب النار إلى ما لا نهاية ويغلق باب الجنة إلى ما لا نهاية وبهذا تصل الرواية البشرية إلى فصلها الأخير ومستقرها النهائي؛ **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها. فيقال له: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: يا رب عملت أشياء لا أراها هاهنا.

وقال صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى: إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجل يخرج من النار حبوا؛ فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى. فيقول الله له: أذهب فأدخل الجنة فإن

لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها. فيقول: أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك. قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال: هذا أدنى أهل الجنة منزلًا.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ولا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم: فمنهم من يوبق بعمله؛ ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله تعالى على النار أن تأكل أثر السجود فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا -تفحموا- فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولًا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيقول: هل عسيت إن أفعل ذلك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: ولا وعزتك. فيعطي الله ما شاء الله من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار. فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى: أليس أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت. فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره. فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك؟ فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة. فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت. فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة. فيقول: تمن. فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله تعالى: تمن من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله: لك ذلك ومثله معه. وفي رواية أبي سعيد قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله. متفق عليه.

فإذا خرج أهل المعاصي من النار، فلم يبق فيها غير الكافرين، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، كما قال تعالى: {فَاليوم لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا} **الجاثية 35**. ولا محيد لهم عنها، بل هم خالدون فيها أبداً، وهم الذين حبسهم القرآن، وحكم عليهم بالخلود، كما قال تعالى: {وَمِنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً. حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً} **الجن 23-24**. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لاَ

يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} **الأحزاب 64-65**. وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُن اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} **النساء 68**.

فهذه ثلاث آيات، فهن الحكم عليهم بالخلود أبداً، ليس لهن رابعة مثلهن في ذلك. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المرد إلى الله إلى جنة أو نار خلود بلا موت وإقامة بلا ظعن.

وقال صلى الله عليه وسلم: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار؛ فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون فينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه، ثم ينادى: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون فينظرون فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه، فيؤمر به فيذبح ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت.

تم بعون الله وتوفيقه

فهرس كتاب القيامة